الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

وسائل الإقناع في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي

﴿مذكرة معدة لإتمام إجراءات الحصول على شهادة الليسانس LMD في اللغة العربية وآدابها تخصص لغة عربية﴾

من إعداد الطلبة:

- عبد الصمد مسعودي
- عمار شكيمة
- فوزي فطحيزة التجاني
- محمد شكيمة

إشراف الأستاذ:

عبد القادر شكيمة

السنة الجامعية: (1434هـ – 1435هـ) – (2013–2014) م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

وسائل الإقناع في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي

﴿مذكرة معدة لإتمام إجراءات الحصول على شهادة الليسانس LMD في اللغة العربية وآدابها تخصص لغة عربية﴾

من إعداد الطلبة:

- عبد الصمد مسعودي
- عمار شكيمة
- فوزي فطحيزة التجاني
- محمد شكيمة

إشراف الأستاذ:

عبد القادر شكيمة

السنة الجامعية:(1434هـ – 1435هـ) – (2013–2014) م

بسم الله الرحمن الرحيم

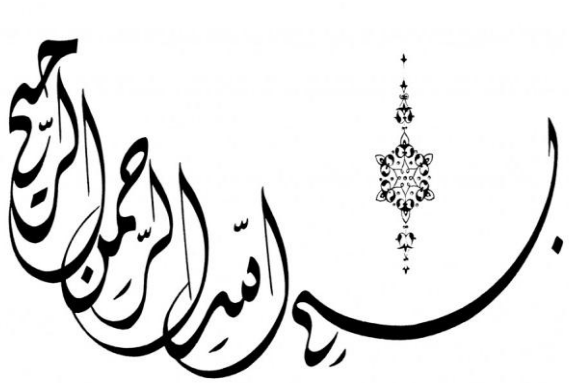

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ
الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا
أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ
الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

﴿ البقرة: 258 ﴾

شكر وعرفان

قال تعالى : (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم) سورة إبراهيم, الآية 07 .

قال تعالى :(ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي) سورة النمل الأية 19

الثناء والشكر لله أولا, الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل المتواضع

ومن منطلق قوله تعالى: (ولا تنسوا الفضل بينكم) سورة البقرة, الآية 237 .

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف " عبد القادر شكيمة " على ما قدمه لنا من توجيهات سديدة لإنارة هذا البحث وإثرائه والذي كان بحرا للجود والكرم ورمزا للعطاء

كما نتقدم بخالص شكرنا وعظيم امتناننا إلى كل من تحمل معنا أعباء ومشاق هذا البحث المتواضع

- ✓ كل أساتذة وعمال جامعة الوادي عامة ، وكلية الآداب خاصة
- ✓ كل الأساتذة الذين قدموا لنا يد العون.

وفي الأخير نتقدم بالشكر وفائق التقدير والإحترام إلى كل من سعى إلى إثمار هذا الجهد

✍ مجموعة المذكرة

✍محمد شكيمة

✍عبد الصمد مسعودي

✍عمار شكيمة

✍فوزي فطحيزة التجاني

مقدمة

حظيت اللغة باهتمام كبير جعلها تأخذ الحيز الأكبر في الفكر العربي والغربي, قديما وحديثا, وهذا لما تؤديه اللغة من وظائف تستحق البحث فيها ودراستها, ولعلّ الوظيفة الأساسية للغة هي الاتصال والتواصل, وذلك كونها ظاهرة اجتماعية تستمد من المجتمع.

وبما أنّ اللغة باعتبارها وسيلة تواصلية بين البشر, تستدعي توفر أدوات وآليات تستخدم من قبل الأطراف المشاركة في عملية التواصل, فلقد أصبح الحجاج الأداة المثلى لمناقشة الأفكار مهما كانت طبيعتها ومصداقيتها, وغدا آلية مهمة في عملية التواصل, والغرض منه فرض سلطة على الآخرين من نوع استمالتهم وإقناعهم بمصداقية الدعوة المعبر عنها.

ولقد اخترنا بعض خطب الحجاج ابن يوسف الثقفي موضوع دراسة لنا في هذا العمل, باعتباره من أكثر النصوص العربية الأدبية تحقيقا لمنطق الإقناع والتأثير بالحجج, وهذا كأحد أهم مبررات اختيارنا لهذا الموضوع وذلك بالوقوف على أهم الوسائل المستعملة قي خطب الحجاج, وعليه فقد كان بحثنا يحمل العنوان التالي: **وسائل الإقناع في خطب الحجاج ابن يوسف الثقفي** .

وقد حاول هذا البحث الإجابة عن عدد من الأسئلة أهمها: ما هي وسائل الإقناع ؟, وما هي الأنواع الغالبة في خطب الحجاج ؟ وفيما تكمن قيمة هذه الأنواع في العملية الحجاجية ؟

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فقد كان مزيجا بين المنهج التاريخي, وذلك لتتبعنا الدرس الحجاجي عند الغرب والعرب قديما وحديثا, وذكر بعض الأحداث التي عاشها الحجاج وسايرها, والمنهج الوصفي التحليلي الذي استخرجنا بمعيّته الوسائل الحجاجية في خطب الحجاج.

وللإلمام بجوانب هذا الموضوع الذي هو صميم دراستنا قسمنا عملنا إلى فصلين رئيسيين, يسبقهما مدخل تمهيدي, إضافة إلى مقدمة للموضوع وخاتمة حوت أهم ما توصلنا إليه من نتائج وأفكار.

الفصل الأول كان نظريا بعنوان تقنيات الإقناع الحجاجية, تناولنا فيه ثلاثة مباحث, الأول ذكرنا فيه ماهية الحجاج وأصنافه, والثاني تتبعنا فيه الدرس الحجاجي عند القدامى والمحدثين , والثالث عرفنا فيه الإقناع وأهم أنواع وسائله.

و**الفصل الثاني** كان تطبيقي, حمل عنوان تقنيات الإقناع في خطب الحجاج, وقسمنا هذا الفصل إلى أربعة مباحث حمل كل مبحث منها تحليل خطبة من خطب الحجاج.

أما **الخاتمة** فقد أوردنا فيها ملخصا لكل ما وصلنا إليه من نتائج تم الوصول إليها من خلال هذه الدراسة.

ولقد استندنا في إثراء عملنا هذا بمراجع أهمها:

. محمد عطا الله, الإقناع في الخطاب الحجاجي, مقاربة لوسائل الإقناع في عيون البصائر

. عبد الهادي بن ظافر الشهري, استراتيجيات الخطاب

. محمد العمري, في بلاغة الخطاب الإقناعي

. جميل عبد المجيد, البلاغة والاتصال

وقد واجهتنا في دراستنا للموضوع العديد من الصعوبات منها: صعوبة تحليل المادة اللغوية الموجود في خطب الحجاج باعتباره نص أدبي قديم, وعدم الإطلاع على مصادر المعرفة غير العربية لحاجة الموضوع إليها مثل كتب الفلسفة والمنطق وعلم الكلام....الخ.

وفي الأخير نتوجه بشكرنا الخالص لكل من ساعد ولو بقليل في هذا البحث خاصة الأستاذ المشرف ﴿ عبد القادر شكيمة ﴾ بتوجيهاته الدقيقة المفيدة, و نحمد اللّه على إتمام هذا العمل, فإن وفقنا فبتقدير من اللّه " **الذي علم بالقلم** " , وإن أخطأنا فمغفور خطؤنا, ولنا أجر الاجتهاد .

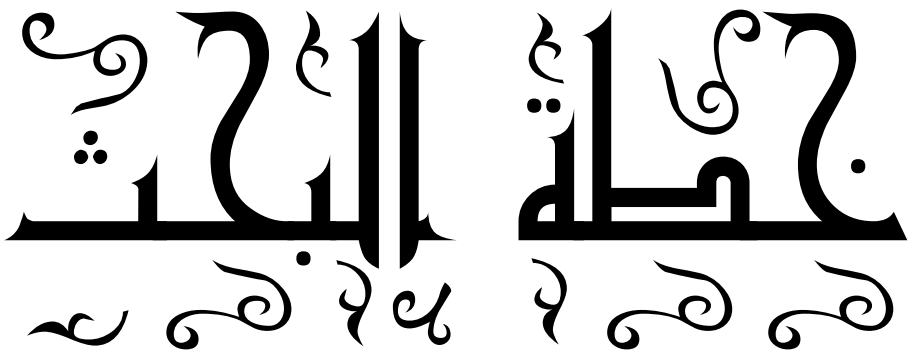
خطة البحث

مقدمة

مدخل : الخطابة عند الحجاج الثقفي

I . المبحث الأول : الحجاج ابن يوسف الثقفي

1. اسمه ونسبه

2. مولده ونشأته

3. بداية ظهوره

4. صفاته وتقويم شخصيته

5. قصة وفاة الحجاج

II . المبحث الثاني : الحجاج والخطابة

1. تعريف الخطابة:

2 . موضوعاتها

3. الحجاج الخطيب الواعظ

4. الحجاج بن يوسف الثقفي والإقناع

الفصل الأول: تقنيات الإقناع الحجاجية

I . المبحث الأول : ماهية الحجاج

1 . تعريف الحجاج

2. أصناف الحجاج

II . المبحث الثاني : تاريخ الحجاج

1. الحجاج عند العرب

2. الحجاج عند الغرب

III . المبحث الثالث : وسائل الإقناع

1. تعريف الإقناع

2. وسائل الإقناع

الفصل الثاني: تقنيات المحاججة في خطب الحجاج

I . المبحث الأول : تحليل خطبتين للحجاج

1. خطبته وقد سمع تكبيرا في السوق

2. حطبته بعد مقتل ابن الزبير

II . المبحث الثاني: خطبته في أهل العراق

1. المقطع الأول

2. المقطع الثاني

3 . الوسائل النفسية والإجتماعية في الخطبة

III . المبحث الثالث : خطبته بعد دير الجماجم

1. المقطع الأول

2. المقطع الثاني

3. الوسائل النفسية والإجتماعية في الخطبة

خاتمة

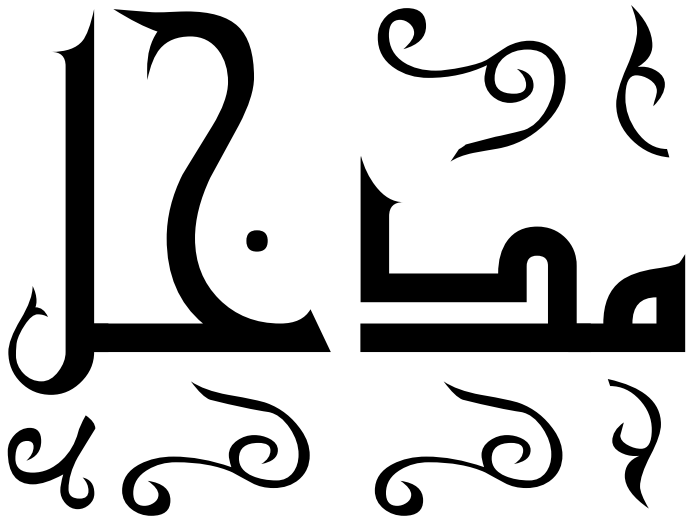
مدخل

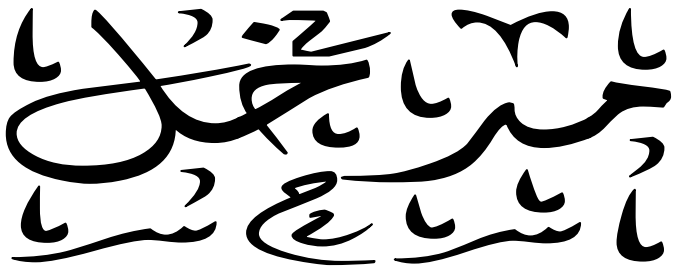

الخطابة عند الحجاج بن يوسف الثقفي

ـ المبحث الأول : الحجاج ابن يوسف الثقفي

1ـ اسمه ونسبه

2ـ مولده ونشأته

3ـ بداية ظهوره :

4ـ صفاته وتقويم شخصيته

5ـ قصة وفاة الحجاج

ـ المبحث الثاني : الحجاج والخطابة

1ـ تعريف الخطابة:

2 ـ موضوعاتها

3ـ الحجاج الخطيب الواعظ

4ـ الحجاج بن يوسف الثقفي والإقناع

I. المبحث الأول : الحجاج ابن يوسف الثقفي

1. اسمه ونسبه:

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن مسعود بن عامر ابن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي (ثقيف) وإليه تنسب القبيلة, كان والد الحجاج عظيما من عظماء القبيلة, ذو شأن و ذو مكانة عالية, محبوبا لقومه.

وأثر نسب الحجاج لأبيه كثيرا في شخصية الحجاج, لذلك فإننا نرى نفس الحجاج تواقة للعلو, طموحة للإمارة و القيادة.[1]

وأمه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي, كانت زوجة المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه, فقد كان المغيرة محصنا لكثير من النساء, فلقد وصفها بأنها سيدة من نساء ثقيف, ويُذكر بأنها كانت أكثرهن مالا وجوهرا وحُلي , فهي رفيعة النسب ثرية من أثرياء ثقيف .

هذا كله يجعلنا نقول إن ذلك النسب من المكانة والشرف, مع ما أوتي الحجاج من قدرات ريادية وعقلية وبلاغية , جعلت منه شخصا طموحا للرئاسة شغوفًا بالقيادة , رحب المكانة.[2]

---

[1]. أبي عبد الرحمان جمال بن محمد بن محمود, سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي ماله وما عليه, دن دار الكتب العالمية بيروت, ط1- 2004, ص 13- 15 يراجع

[2]. المرجع نفسه, ص 15-16-17 يراجع

2. مولده ونشأته

يرجع أصل الحجاج ابن يوسف الثقفي , << إلى ثقيف, ولد بالطائف سنة 41 هـ , ويقال 42هـ .>> [3]

ونشأ الحجاج بالطائف وهي مدينة تقع جنوب شرق مكة , وهي المدينة الوحيدة التي جارت مكة قبل الإسلام ازدهارا لكونها محط القوافل التي تقصد مكة, وكانت لهجة أهل الطائف من أقوم لهجات الجزيرة العربية, ذلك لأنها على اتصال دائم ببدو هذيل أفصح قبيلة أشعرها قي الحجاز, وفي هذه البيئة نشأ الحجاج فكان لغويا دقيقا قي لغته فصيحا بليغا خطاباته, وقد حفظ القرآن في كنف أبيه وأجداده .[4]

ولا توجد لدينا معلومات وافرة عن حياة الحجاج الأولى, وأيام طفولته وصباه, ولكن الروايات تشير إلى بعض المهن التي كان يمتهنها, فقد ذُكر بأنه كان دباغا وأنه كان فقيرا مقترا , استنادا إلى بعض أبيات شعر كان قد هجي فيها الحجاج.

ومن المؤرخين أيضا من يعد الحجاج بن يوسف من أشرف المعلمين وأفقههم, فقد كان الحجاج يُعلم كتاب الله, وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم, ومنهم من رأى بأن الحجاج لم يكن معلم

[3] . عبد الواحد ذنون طه, العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي, الدار العربية للموسوعات بيروت, ط2- 2005, ص25

[4] . محمود زيادة, الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه, دار السلام الأزهر- مصر,ط1 1995 ص 33-34 يراجع

صبيان, وإنما كان مساعدا لمعلم آخر كانت شخصيته القوية قد اخفت معها شخصية الحجاج مما اضطره إلى البحث عن عمل آخر يليق به .[5]

3. بداية ظهوره :

كان أول ظهور للحجاج انتظامه في جيش حبيش بن دلجة القيني, كان هذا الجيش متجها لمحاربة ابن الزبير, شارك الحجاج في المعركة مع والده الذي كان يحمل بعض ألوية الجيش, وقد انتصر ابن الزبير في هذه المعركة بعد كمين أعده لهم, وانهزم الشامي ون ونجا الحجاج في ذلك اليوم, وبعد ذلك نرى الحجاج يتدرج في المراتب حتى صار إلى ما صار إليه, وسر ذلك تقربه من عبد الملك بن مروان واستشارته في كل الأمور, فهو الذي أوصل الحجاج إلى طريق القيادة والإمارة.

واستعمل الحجاج في ذلك الحيل ما بين ترغيب وترهيب, فعندما خرج أمير المؤمنين في معسكر و لم يكن أحد يتخلف إلا أعوان روح – أحد قادة بني أمية – بن زنباع, فوقف عليهم الحجاج يوما وقد رحل الناس وهم ع لى الطعام يأكلون, فقالوا له: انزل كل معنا, فقال لهم: هيهات قد ذهب ما هنالك, و أمر بهم فجُلدوا بالسياط و طوّفهم في المعسكر وأمر بإحراق خيمة روح نفسه, فشكا إلى الخليفة فلما حظر الحجاج قال: ما أنا فعلت و إنما أمير المؤمنين. إنما يدي يدك و سوطي سوطك, فأعجب عبد الملك به وزاد في منزلته عنده. [6]

[5]. السابق, عبد الواحد ذنون طه, ص 28--30 31 يراجع

[6]. المرجع نفسه, ص 47-48 يراجع

4. صفاته وتقويم شخصيته

الحجاج بن يوسف الثقفي سياسي أموي وقائد عسكري من أعظم ولاة بني أمية و أشهرهم, وهو خطيب جرئ, ذو قسوة و جبروت, ويعد من الشخصيات المثيرة للجدل في التاريخ الإسلامي والعربي.

ويمكن أن نتبين شخصية الحجاج من خلال ما قاله لعبد الملك بن مروان يصف له نفسه, قال: << أنه حقود حسود ذو قسوة >> [7], لذلك فليس من الغريب أنه عندما يذكر اسم الحجاج تدخل القلوب وتقشعر الأبدان و تغيب الابتسامة فتتغير ملامح الوجوه, فهو كما وصفه بعض المؤرخين,<< أنه سفاك للدماء ؛ ووصفوه بأنه أكبر لذة عنده أن يسوق الناس إلى المنايا, وخاض بالناس غمرات الحروب, وميادين القتال, ويقولون: إن الناس مغلوبون على أمرهم لا يخالفون له رأيا ولا يُرجعون له قولا >>.[8]

ويُروى أيضا أنه كان << شجاعا مهيبا, يُقوّم الشجاعة ويعفو عن الشجاع ويحسن إليه ولو كان عدوا له ومن الخارجين عليه >> [9], فهو يملك شجاعة نادرة مصحوبة بذكاء كبير استطاع من خلال هذه الصفات والخصال أن يلوي أعناق الفتن, وأن يتخطى جميع الأزمات.

7. السابق, عبد الواحد ذنون طه, ص 31

8. السابق, أبي عبد الرحمان جمال بن محمد بن محمود , ص 26

9. المرجع نفسه, عبد الواحد ذنون طه, ص 42

ومن الصفات الأخرى التي ميزت الحجاج عن غيره رجاحة العقل, فهو كما قال فيه عبد الرحمان بن حارث بن هشام يشيد بذكائه ورجاحة عقله, << ما رأيت عقول الناس إلا قريبًا بعضهم من بعض, إلا ما كان من الحجاج و إياس بن معاوية, فإنّ عقلهما كان يرجح على عقول الناس >>[10], فهو بذلك فاق أهل عصره في الذكاء .

وإضافةً إلى ذلك كان فصيحا بليغا يعتزّ بفصاحته وتجنبه للحن, وكان يتذاكر مع النحاة في ذلك, كما تميز بالجرأة والدهاء, والاهتمام بمظاهر السلطان, وكان فخورا بنفسه لا يحب أن يرى أحدا يتعالى أو يفتخر بنفسه أمامه, إضافة إلى ذلك أنه كان يبني أحكامه على الظن في بعض الأحيان, ومع ذلك فهو يعترف بخطئه عندما يتبين له بأن ظنه لم يكن صائبا, ومن صفاته أيضا أنه لم يكن يحرص على اقتناء الأموال فقد مات ولم يترك وراءه غير ثلاثمئة درهم وبعض الأمتعة الشخصية .[11]

10. السابق, أبي عبد الرحمان جمال بن محمد بن محمود , ص29

11. السابق, عبد الواحد ذنون طه, ص 43-44-45 يراجع

5. قصة وفاة الحجاج

ذكر المؤرخون أنّ وفاة الحجاج كانت عقب مرضٍ ألمَّ به, حيث كان سبب موته بالأَكِلَةِ في بطنه, فأوتيَ بطبيب فسوَّغهُ لحماً في خيْطٍ فخرج مملوءاً دوداً, كما وسُلِط عليه أيضاَ البَرْدُ, فكانت توقَدُ النَّار تحته وتدنَى منه حتى تحرق ثيابه وهو لا يحس بها, فشكا حاله إلى الحسن البَصْري فقال له : ألم أكن نَهَيتُك أن تتعرض للصالحين فَتَمَادَيتَ, فقال: يا حسن, لا أسألك أن تسأل الله أن يُفرج عني ولكني أسألك أن تسأله أن يُعجل قبض روحي ولا يطيل عذابي.[12]

وقال بعضهم: << رأيته وهو يأتي الجُمعة وقد كاد يهلكُ من العلة >> [13] , << وأقام الحجاج على هذه الحال بهذه العلة خمسة عشر يوماً >>. [14]

ويروى عن أبي العباس المبرُدُ, عن الرِّيَاشيُّ, عن الأصمعي, قال : لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول:

يا ربُ قد حلف الأعداء واجتهدوا *** بأنني رجلٌ من ساكني النارِ

أيَحلِفونَ علـــــــى عمياءَ ويحَهمُ *** ما عِلْمُهم بعظيم العفوِ غفَّارِ

[12]. ابن العماد, شذرات الذهب في أخبار من ذهب , ج1 , دار ابن كثير دمشق – بيروت, ط1-1986, ص 381 يراجع

[13]. ابن كثير القرشي الدمشقي, البداية والنهاية, ج 12, ت عبد الله بن عبد المحسن التركي, دار هجر الجيزة مصر, ط 1 1998, ص 549

[14]. المرجع نفسه, ابن العماد, ص 381

وأخبر بذلك الحسن البصَري فقال تالله إن نجا فبهما, ثم توفي بعدها وكانت ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان وقيل في شوال, سنه 95 هجري وهو ابن أربع وخمسين سنة وقيل ثلاث وخمسين سنة .[15]

[15]. السابق , ابن كثير القرشي الدمشقي, ص 550-551-552 يراجع

II . المبحث الثاني: الخطابة عند الحجاج

1. تعريف الخطابة:

1. 1. التعريف اللغوي:

جاء في معجم مقاييس اللغة: الخاء والطاء والباء أصلان, أحدهما الكلام بين اثنين, يقال: خاطبهُ يُخاطِبه خِطَابًا, أي وجَّه لَهُ كلامَا, والخُطبة الكلام المخطوب به, يقال اختطب القوم فلاناَ, أي دعوه إلى تَزوج صاحبتهم.

والثاني اختلاف لونين, قال الفرّاء : الخطْبَاء هي الأتان التي لها خطٌّ أسودُ على مَتْنِها , والخُطْبان: الحنْظَلُ إذا اختلف ألوانه, والأخْطَبُ : الحمار تعلُوه خُضْرة, وكل لونٍ يشبه ذلك فهو أخْطَبُ .[16]

وفي لسان العرب: " الخِطابُ و المخاطَبَةُ : مُراجَعة الكلام , وقد خَاطبهُ بالكَلام مخَاطُبَةً وخِطاباً, وهُما يَتخاطبانِ.

والخُطبةُ مصدرُ الخَطِيبِ, وخَطَبَ الخَاطِبُ على الْمِنْبَرِ, واخْتَطبَ يَخْطُبُ خَطابَةً, واسْمٌ الكلام: الخُطبَةُ, والخُطْبَةَ مصدَرُ الخَطيبِ لا يجُوزُ إلاَّ على وجه واحد, وهو أنَّ الخُطبَةَ اسمٌ للكلام الذي يتكلمُ به الخطيبُ, فيوضعُ موضِع المصدر " [17]

---

[16]. أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا, معجم مقاييس اللغة, ج2, ت عبد السلام محمد هارون, دار الفكر القاهرة, دط 1989, ص 2005-2006 يراجع

[17]. ابن منظور, لسان العرب , ت عبد الله علي الكبير وآخرون , المعارف القاهرة, ط1, دس, ص1194 يراجع

1. 2. التعريف الاصطلاحي :

الخطابة في اصطلاح الحكماء : << مجموع قوانين يُقتَدرُ بها على الإقناع الممكن في أي موضوع يراد >>.[18]

وأوضح وأدق ما عُرّفت به الخطابة أنها << فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشمل على الإقناع والاستمالة >>.[19]

هذا التعريف يقوم على عناصر معينة :

. أن يكون الحديث مخاطبةً لجمهور من الناس.

. أن يكون بطريقة إلقائية : يكون بجهارة الصوت وتكيفه باختلاف نبراته وتجسم المعاني التي تتظمنها الخطبة.

. أن يكون الحديث مقنع بحيث يشتمل على أدلة وبراهين تثبت صحة الفكرة التي يدعو إليها الحديث.

. أن يتوفر في الخطبة عنصر الاستمالة: وهذا يعني توجيه عواطف السامعين واستجابتهم للرأي الذي تدعو إليه الخطبة .

[18]. علي محفوظ , فن الخطابة وإعداد الخطيب, ط 1984 , دار النصر . شبرا مصر , ص 13

[19]. عبد الجليل عبده شلبي, الخطابة وإعداد الخطيب, ط 3 . 1987 , دار الشروق القاهرة , ص 13

2. موضوعاتها

الخطابة حسب رأي ابن رشد ليس لها موضوع خاص تبحث عنه بمعزل عن غيره, فإنه يخضع لسلطان لسانها كل شيء حقيرا كان أو جليلا, معقولا أو محسوسا, فهي تنظر في كل العلوم والفنون, وهو ما يفرض على الخطيب أن يكون له إلمام بكل صنف من المعارف, بل وعليه أن يستمر في التوسيع من مدركاته, فإن كل مسألة عامة أو لها صلة بشأن عام يصح أن تكون موضوع الخطابة.[20]

بل ويذهب ابن رشد في ذلك إلى أن << كل واحد من الناس يوجد مستعملا لنحوٍ من أنحاء البلاغة ومنتهيا منها إلى مقدار فذلك حقٌ, فالتاجر ينادي بشيءٍ من البيان بلغته يستعمل فيه كل وسائل الإغراء, وكل ذي رغبة في أمرٍ يجتهد في استخدام عبارات خاصة يجذب بها من يريد حمله إلى ما يبغي ويريد, فلو تسامحنا لسمينا ذلك الصنف من الكلام خطابة, وهذه ما هي إلا أمثلة ودلائل تبين مدى عموم الموضوعات الخطابية وأنها ليست مقصورة على ناحية خاصة من النواحي.>>[21]

[20]. محمد أبو زهرة, الخطابة أصولها. تاريخها في أزهرِ عصورها عند العرب, دار الفكر العربي القاهرة, ط1 دس, ص 16 يراجع

[21]. المرجع نفسه, ص 16

3. الحجاج الخطيب الواعظ

كان الحجاج في خطبه بليغا واعظا, فقد كان يختار الألفاظ والعبارات سالكا في ذلك طريق البيان والبديع , فكساها حللا برّاقة جميلة, كيف لا وهو أحد أكثر المتحمسين للغة العربية, لذلك << نراه يهش إذا سمع قولا عربيا فصيحا >> [22], << فالحجاج هو الخطيب البارع الذي يرهب العدو بالكلمة والذي يقضي على الفتنة بموعظة >>.[23]

فالحجاج يتمتع بمهارات أدبية ولغوية غابت عن كثير من الخطباء في عصره, أعطته قدرة كبيرة في الخطابة والبيان والإبداع اللغوي والكلمي, وتلك القدرة الفائقة التي يمتلكها الحجا ج, كان للقرآن الأثر الكبير في تنميتها وتطورها, فهو من حفظة القرآن ومن المتقنين لأحكامه, فهو يجد القرآن وسيلة لتدعيم خطاباته من اقتباسات وشواهد وغيرها.

كان الحجاج خطيبا دينيا سياسيا, فكان إذا خطب مهددا خرج كلامه يفيض حرارة وغيظًا وتقريعا وإيجاعا, وإذا ما خطب مهدئًا كان كلامه برد النفوس وشفاء الصدور, وهذا النوع من الخطابة لا يجيء وليد تكلف أو تصنع وإنما هو الوجدان المتقد ينساب على اللسان فيضًا خطابيا عندما يجيش في النفس أمرٌ من الأمور.[24]

---

[22]. السابق, محمود زيادة, ص 377

[23]. السابق, أبي عبد الرحمان جمال بن محمد بن محمود, ص 44

[24]. المرجع نفسه, محمود زيادة, ص 381 يراجع

4. الحجاج بن يوسف الثقفي والإقناع

يمتلك الحجاج قدرة فائقة وأسلوبًا قوي ا ومؤثرا يستطيع من خلاله التأثير على من يخاطبهم وإقناعهم بما يقول, وإن أدى ذلك إلى قلب الحقائق, ولعلّ أكبر مثال لدينا خطبته بمكة بعد مقتل ابن الزبير وكيفية تعامل الحجاج مع أهل مكة وردة فعلهم بعد مقتل قائدهم:

لما قتل الحجاج عبد الله ابن الزبير, ارتجّت مكة بالبكاء, فصعد المنبر, فقال: << ألا إن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها, وخلع طاعة الله, واستكنّ بحرم الله, ولو كان شيئا مانعا للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة, لأن الله تعالى خلقه بيده, وأسجد له ملائكته, وأباحه جنته, فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته, وآدم على الله أكرم من ابن الزبير والجنة أعظم حرمة من الكعبة .>>[25]

ففي هذه الخطبة أراد الحجاج التأثير في نفوس أهل مكة, وقلب الأمر لصالحه, وذلك بإرجاع مقتل ابن الزبير للخطأ الذي قام به, وهو النزاع على الخلافة, وربط ذلك بقصة آدم عليه السلام حين أخرجه الله تعالى من الجنة, ليقنع أهل مكة بالمعصية التي ارتكبها ابن الزبير حسب رأيه, وهذا الأسلوب القوي يبرز لنا مدى قدرة الحجاج الخطابية وامتلاكه منطق الإقناع, في التعامل مع مثل هذه المواقف .

[25]. أحمد زكي صفوت, جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزاهرة, ج 1, مطبعة مصطفى الباني الحلبي مصر, ط 1 1933, ص 273 -274

وممن يشيد بدهاء الحجاج وحسن تخلصه بالحجج, نجد مالك بن دينار يتحدث عن القدرة الخطابية التي يمتلكها الحجاج في التأثير في نفوس سامعيه وإقناعهم بما يحمل, فيقول: << ربما سمعت الحجاج يخطب, يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم, فيقع في نفسي أنّهم يظلمونه وأنّه صادق ؛ لبيانه وحسن تخلصه بالحجج >>.[26]

[26]. الجاحظ, البيان والتبيين, ج 1, ت عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخانجي القاهرة, ط 7- 1998 , ص 394

الفصل الأول

الفصل الأول

تقنيات الإقناع الحجاجية

ـ المبحث الأول : ماهية الحجاج

1 ـ تعريف الحجاج

2ـ أصناف الحجاج

ـ المبحث الثاني : تاريخ الحجاج

1ـ الحجاج عند العرب

2ـ الحجاج عند الغرب

ـ لمبحث الثالث : وسائل الإقناع

1ـ تعريف الإقناع

2ـ وسائل الإقناع

I. المبحث الأول : ماهية الحجاج

1. تعريف الحجاج

1. 1 . لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور في باب (حجج) يقال: << حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها وقيل الحجة ما دفع به الخصم، وهو رجل محجاج أي جدل والتحاج: التخاصم وجمع الحجة: حجج وحجاج، وحاجه محاجة وحجاجا نزعه الحجة وفي الحديث: فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة، الحجة: الدليل والبرهان يقال: حاججته فأنا محاج وحجيج, فعيل بمعنى فاعل ومنه حديث معاوية: فجعلت أحج خصمي أي غلبته بالحجة .>>[1]

وفي تاج العروس للزبيدي في مادة حجج << الحج (الغلبة بالحجة) يقال: حجه يحجه حجا إذا غلبته على حجته و الحج (كثرة الاختلاف و التردد) وقد حج بنو فلان فلانا: إذا أطالوا الاختلاف إليه، وفي التهذيب وتقول: حججت فلانا، إذا أتيته مرة بعد مرة، فقيل: حج البيت، لأنهم يأتونه كل سنة.>>[2]

[1]. إبن منظور، لسان العرب, ص 779 .

[2]. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج5، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت, دط 1969، ص460.

أما إبن فارس في كتابه "مقاييس اللغة" فيعرف الحجاج على النحو الآتـي << يقال حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة و ذلك الظفر يكون عند الخصوم والجمع حجج والمصدر حجاج .>>[1]

[1]. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة, ج2 ص30

1. 2 . اصطلاحا :

يعد الحجاج إستراتيجية لغوية، تكتسب بُعدها من الأحوال المصاحبة للخطاب، على أساس << أن اللغة نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات معينة من السياق >>[1]، << فالمتكلم أثناء العملية التخاطبية ينقل تصوراته ومدركاته الموجودة في واقعه إلى المستمع، قاصدا بذلك التبليغ أو الإخبار أو التأثير في هذا المستمع، وبالتالي يعمد هذا المتكلم إلى إقناع الطرف الآخر، أو التغيير في بعض معارفه وأفكاره، بخاصة ما يظهر فيها اختلاف بينهما، ويستعمل الخطاب حجاجيا لتلك الغاية، إذ الحجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية، وإنما هو بُعْد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق. >>[2], << هذا التلازم هو الموجه الأساسي لكل هدف من أهداف التواصل، مما يترتب عن ذلك أن كل خطاب موجه إلى الطرف ويهدف إلى الإقناع يكون له بالضرورة بعد حجاجي. >>[3]

وعلى هذا الأساس فإن الحجاج جنس من الخطاب، يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا، قاصدا إقناع الآخر بصدق دعواه، والتأثير في موقعه أو سلوكه تجاه تلك القضية. [4]

---

[1]. حمدي منصور جودي، استراتجيات الحجاج التعليمي عند البشير الإبراهيمي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية, جامعة بسكرة، العدد الخامس، جوان 2009، ص7.

[2]. المرجع نفسه, ص 8.

[3]. المرجع نفسه، ص 8.

4. المرجع نفسه، ص 8.

وقد عرفهأبو بكر العزاوي في كتابه " اللغة والحجاج" بقوله : << هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجيه داخل الخطاب, وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التـــي تستنتج منها >>[1]

من خلال التعريفات السابقة نستنتج أن الحجاج عبارة عن علاقة تخاطبية بين متكلم ومستمع حول قضية ما ، المتكلم يدعم قوله بالحجج والبراهين لإقناع الغير والمستمع له الحق في الإعتراض عليه إن لم يقتنع.

[1]. أبو بكر العزاوي, اللغة و الحجاج، العمدة في الطبع سور الأزبكية، ط 1، 2006، ص 16.

2. أصناف الحجاج

يمكن تصنيف الحجاج إلى نوعين هما الحجاج التوجيهي والحجاج التقويميّ, وذلك باعتبار استحضار حجاج المرسل إليه من عدمه, سواء الحجاج السابق أو المتوقع .

2 . 1 . الحجاج التوجيهي :

هذا النوع من الحجاج يرتكز في الأساس على المخاطِب والوضعية التي يكون فيها عند إيصاله رسالة إلى المخاطَب, دون أن يهتم بردة فعل المخاطب ورأيه, << فالحجاج التوجيهي هو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدلّ, علما بأن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدلّ لحجّته إلى غيره, فقد ينشغل المستدلّ بأقواله من حيث إلقا ؤه لها ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقّي المخاطَب لها وردُّ فعله عليها, فتجده يولي أقصى عنايته إلى مقصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة , غير أنّ قصر اهتمامه على هذا المقصود والأفعال الذاتيّة يفضي به إلى تناسي الجانب العلائقي من الاستدلال, هذا الجانب الذي يوصله بالمخاطَب ويجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض, ويمَثل لهذا النوع من الحجاج بالأفعال اللغوية التي تفي فقط بالجزء الذي يخص المرسل من الاستدلال , لأنه لم يفترض حجج المرسل إليه هذه اللحظة, فتصوره عنه مازال ناقصاَ >>[1].

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري, استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية, دار الكتاب الجديد بيروت, ط 1- 2004, ص470

2 . 2 . الحجاج التقويمي:

وهذا النوع من الحجاج أشمل من سابقه, فهو يهتم بالمخاطِب وما يحمله ويهتم أيضا بردة فعل المخاطَب ورأيه , لأنّ خطاب المرسل هنا يكون حجاجا على أمر مُتَوقَّع من المرسل إليه , فالمرسل إذا في خطابه يراعي أمرين , أولهما إقناع المرسل إليه, والثاني الحجج التي يمكن أن يعارضه بها المرسل إليه والتي يضعها في الحسبان أثناء بناء خطابه, ويمحّصها عند استحضار حججه, فيبطل حججه ويعارضها بالحجج التي يتوقعها من المرسل إليه [1], وهذا ما يسمى بالحجاج التقويمي والذي يعرف بأنه, << إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدلّ على أن يجرّد من نفسه ذاتا ثانية يُنزلها منزلة المعترض على دعواه, فهاهنا لا يكتفي المستدلّ بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطَب, واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط, بل يتعد ى ذلك إلى النظر في فعل المتلقي باعتباره هو نفسه أول متلقٍّ لما يلقي, فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدَلّ له أن يقوم به, مستبقا استفساراته واعتراضاته, ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبّلها واقتناع المخاطَب بها. >>[2] , فالمستدلّ في هذا الحال يُقوّم حججه وذلك بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه , يكشف من خلاله ما يحمله المرسل إليه من اعتراضات على حججه , وذلك بانتحاله دور المرسل إليه وشخصيته في الاعتراض على نفسه.

[1]. السابق, عبد الهادي بن ظافر الشهري, ص 473, يراجع

[2]. المرجع نفسه, ص 473,

II. المبحث الثاني : تاريخ الحجاج

1. الحجاج عند العرب:

1.1 قديما:

لقد أولى العرب الحجاج عناية كبيرة وقد تجسد في العصر الإسلامي لاسيما في القرآن الكريم والسنة النبوية، كما يتبلور أيضا في علوم شتى كالعلوم الفلسفية واللغوية كما كان يضرب في المسامرات والنقاشات التي كانت تعقد بين العلماء وغيرهم.

1.1.1: الحجاج في القرآن الكريم والسنة :

لقد ورد في القرآن الكريم بمعانيه المختلفة، فقد جاء بلفظ حجاج وجدل وبرهان، ونلمسه في آيات كثيرة منها قوله تعالى:" ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربّه " [1].

ولقد فسر هذه الآية محمد الطاهر بن عاشور بقوله: << معنى حاجّ خاصم، وهو فعل جاء على زَنة المفاعلة، ولا يعرف لحاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاطبة و إن الأغلب يفيد الخصام بباطل >> [2]

[1]. سورة البقرة-الآية 258.

[2]. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، الدار التونسية للنشر والتوزيع. تونس، دط. دس، ص 31-32

وقال أيضا في شأن الجدل عند تفسير قوله تعالى: "ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم" [1]

وفسرها ابن عاشور بقوله: << والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك >>[2]

ومنه جادل لأن الخصام يستدعي خصمين وأما قولهم: جدله فهو بمعنى غلبه في المجادلة و مصدر المجادلة: الجدال، قال تعالى "ولا جدال في الحج" [3]

ونجد أيضا أن الحجاج في الحديث الشريف قد تباين واختلف من حديث إلى آخر، ومن أشهر ما يستدل به في الموضوع حديث الرجل الذي جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ناكرا لون ولده قائلا: << يا رسول الله :إن امرأتي ولدت غلاما أسود , فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: هل لك من إبل؟. قال نعم، قال ما ألوانها؟ قال: حمر قال: هل فيها أورق؟ قال: نعم ، قال: فمن أين ذلك؟ قال: لعلّ عرقا نزعه, فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: وهذا الغلام لعل عرقا نزعه >>[4].

هنا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد احتجّ على هذا الرجل بذكر توارث اللون في فصيلة الإبل وربطها بالإنسان حتى وصل إلى إقناع المتلقي .

---

[1]. سورة النساء- الآية 107.

[2]. المرجع نفسه, محمد الطاهر بن عاشور، ج5, ، ص 194.

3. السابق, محمد الطاهر بن عاشور، ج5, ، ص 194

[4]. حمو النقاري، التحاجج طبيعته، مجالاته ووظائفه و ضوابطه، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية – الرباط، ط1 – 2006، نقلا عن علي الإدريسي: في تأسيس الحجاج لدى مفكري الإسلام ، ص83 .

1. 1. 2. الحجاج في البلاغة العربية القديمة:

1. 1. 2. 1. عند الجاحظ (ت 868م):

حيث << يمثل الوجهة الأولى إذ تناول إستراتجية الإقناع في كتابه البيان والتبيين, ومن خلال دور العلامات السيميائية التي لها دور مهم في الإقناع وقد أكد ذلك الدور في حديثه عن العلامات من خط وإشارة وحال وعقد ونصبه فكان بذلك من المؤسسين لعلم العلامات في الثقافة العربية >>[1].

كما حاول إيضاح مفهومي البيان والبلاغة مستشهدا بما لدى الأمم الأخرى، حتى تمكن من أن يحدد آلة البلاغة، باستشهاده ببعض ما ورد في صحيفة تنتمي إلى الثقافة الهندية، إذ يقول: أول البلاغة، اجتماع آلة البلاغة، وذلك إن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل الخلط، متغير اللفظ... [2].

فغاية الجاحظ من النص هو الخطاب الإقناعي الشفوي، وهو إقناع تقدم في الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة) وتحدد الأولى طبيعة الثانية حسب المقامات والأحوال.

كما يستشهد أيضا بخطابات من أقوال العرب سواء في النثر أو الشعر إذ يتعامل مع كل جنس بوصفه خطابا ويتحفظ بكل جنس بوصفه خطابا ويتحفظ بكل جنس بخصائص هالتي على مستوى الشكل.[3]

---

[1]. السابق, عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 448.

[2]. المرجع نفسه، ص 448, يراجع

[3]. المرجع نفسه، ص 448

1-1- 2. 2 عند ابن خلدون:(ت 1406)

<< جاء في مقدمة ابن خلدون حديثه عن أصول الفقه، إذ ذهب إلى الإقرار بضرورة استعمال الحجاج بوصفه آلية الإقناع المثلى في زمن كثرت فيه أسباب الخلاف والمناظرات. وهذا ما أفضى به إلى الحديث عما يسميه بالجدل >>[1], إذْ يقول بأنّ الجدل: << هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد، من الحدود والآداب، في الاستدلال، التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره" وكان الباعث له على تحديد آداب المناظرات هو عمله باتساع المناظرة في القبول والرد >>[2].

1-1- 2. 3 عند أبي الحسن بن وهب (ت 337 هـ):

أما فكر ابن وهب فيما تعلق بالحجاج فقد ربطه بالجدل والمجادلة، حيث أعطى تعريفا دقيقا للجدل والمجادلة في قوله: << وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة في ما اختلف فيه المجادلون، ويستعمل في المذاهب والبيانات وفي الحقوق والخصومات والتنصل في الاعتذارات >> [3].

ولقد صنف الجدل إلى تصنيفات أخلاقية وميز بين الجدل المحمود والجدل المذموم << أما المحمود فهو الذي يقصد به الحق، ويستعمل فيه الصدق، وأما المذموم فما أريد به المماراة والغلبة وطلب به الرياء والسمعة >> [4].

---

[1]. السابق, عبد الهادي بن ظافر الشهري, ص 449

[2]. المرجع نفسه, ص 449.

[3]. أبو الحسين إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، ت جنفي محمد شرف، مطبعة الرسالة مصر،دط دس، ص176.

[4]. المرجع نفسه، ص 176.

وقد اشترط "بن وهب" في أدب الجدال ما يلي:

- أن يحلم المجادل عن ما يسمع من الأذى والنبر
- ألا يعجب برأيه وما تسول له نفسه.
- أن يكون منصفا غير مكابر، انه يطلب الإنصاف من خصمه ويقصده بقوله وحجته.
- ألا يستصغر خصمه ويستهين به.[1]

[1]. السابق، أبو الحسين إسحاق بن وهب, ص 190.

1. 2 حديثا:

1. 2. 1. الحجاج عند محمد العمري:

نظر محمد العمري للحجاج بجانب إقناعي وذلك من خلال التأثر بالفلاسفة اليونانيين ونجد ذلك في قوله:<< وقديما عمل أفلاطون في محاورته على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة >>.[1]

كما اعتمد أيضا عل ى الدعائم الأريطورية لبلاغة الخطاب , والذي يربطها بالإقناع فيق ـول: << وبدأ الحنين من جديد إلى "ريطورية" أرسطو التي تتوصل إلى الإقناع في كل حالة على حده بوسائل متنوعة حسب الأحوال....>> [2]

وتعرض أيضا للخطابة الاجتماعية بأنها تكون فيها خطب في موضوعات اجتماعية تتناول العلاقات بين الناس وتنظيم المجتمع , وهي في أغلبها ذات طبيعة موضوعية، وخطب ذات طبيعة وجدانية هدفها المشاركة في المسرات والأحزان وتعتمد على الحجج المقنعة. [3]

[1]. محمد العمري, في بلاغة الخطاب الإقناعي, مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية, دار إفريقيا الشرق المغرب, ط 2- 2002, ص 13

[2]. المرجع نفسه, ص 14

[3]. المرجع نفسه, ص 62 يراجع

1. 2 . 2 . الحجاج عند طه عبد الرحمان:

لقد تميزت نظرية الحجاج عنده بالطابع الفلسفي, فقد عقد بابا في كتابه" اللسان والميزان" سماه "الخطاب والحجاج" وهو يرى أن الأصل في تكون الخطاب هو صفته الحجاجية، بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج. [1]

كما عرف الحجاج انطلاقا من مبدأين هما:"قصد الادعاء" و"قصد الاعتراض" إذ يقول: << إذا حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصومة يحق له الاعتراض عليه >>.[2]

كما استعرض أيضا أنواع الحجج وأصنافها, وركز السلم الحجاجي بوصفه عمدة بالحجاج, كما درس البيان والبديع من وجهة نظر حجاجية , واعتبر الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية يقوم على صنفين هما تداولي: << لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي, وجدلي: لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة >>[3]

1. 2 . 3 . الحجاج عند أبو بكر العزاوي:

أسهم أبو بكر العزاوي في العديد من المقالات التي توزعت بين دراسة الشعر والنثر دراسة حجاجية ومن بينها "**اللغة والحجاج**" و"**الخطاب والحجاج**" ومقالته الشهيرة نحو" **مقاربة حجاجية للاستعارة** " عرض فيها مفهوم السلم الحجاجي على الاستعارة مستنتجا أن الاستعارة تفضل الحقيقة من ناحية قوتها الحجاجية إذ يبدو أن الأقوال الإستعارية أعلى حجاجيا من الأقوال العادية لذلك

---

[1]. طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الدار البيضاء- المغرب، ط1 1992, ص213 يراجع.

[2]. المرجع نفسه, طه عبد الرحمان, ص 226.

[3] . طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الدار البيضاء المغرب، ط2-2000, ص64

يقدم المرسل الحجة الإستعارية في بعض السياقات بوصفها الدليل الأقوى, خصوصا ما صنفه على أنه استعارة حجاجية لأنها تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه, وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية, والاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا للارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية.[1]

[1] . السابق, عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 452 .يراجع

2. الحجاج عند الغرب:

2. 1. قديما :

2. 1. 1. عند أفلاطون :

استند أفلاطون في ممارسة الحجاج على الخلاف القائم بينه و بين السفسطائين في أصول بناء الحجاج، إذ جعل للممارسة الحجاجية محاورتين هما: **قرجياس و فيدر**، والذي من خلالهما نقد الخطابة السفسطائية ،معتمدا إستراتجية الكشف عن علاقة القول الخطبي السفسطائي بالقيم .

ففي محاورة **قرجياس** بحث في موضوع الخطابة ووظيفتها، أما البحث في الموضوع فهو عنده بحث في مدى شرعية قيام هذا القول. وأما البحث فـــي الوظيفة فهو بحث فيما يقدمه هذا القول للإنسان ،وذكر أن الإقناع نوعان: إقناع يعتمد العلم، وإقناع يعتمد الظن, وفي جزء آخر من المحاورة قيم أفلاطون وظيفة الخطابة في ضوء المقابلة خير ولذة ففي تصوره لما يحقق سعادة للإنسان وذكر فوائد أربعة تحقق الخير للإنسان في جسمه ونفسه وهـــي: الطب، الرياضة، العدل ، التشريع.

ثم ذكر ممارسات خادعة جعلها تحت اسم التملق وهي تفيد اللذة والخداع وهكذا يتبين ملامح المنهج الذي اعتمده أفلاطون هو منهج البحث في صلة القول بالقيم ، ففي المحاورة وزن القول الخطبي في المعيار العلمي ووزنه في المقطع الثاني بمعيار الخير. [1]

[1]. هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية, دط,1998 ،ص 57 ،58 ،59 ،60 يراجع

أما في محاورة **فيدر**, درس أفلاطون نصا من النصوص الحجاجية السفسطائية و فيدر شاب مثقف كان يعاشر الفلاسفة و يخالط السفسطائين في آن واحد، أعجب بمهارة السفسطائي **ليزياس** في إحضار الحجة وجمال أسلوبه, وبعد معارض سقراط للنص **ليزياس** بنص ثاني فيه حجاج مضاد في أسطورة * **فقدان النفس للجناح** * و استرجاعها له بالجمال والحب , واعترف فيدر بان ليزياس خطيب باهت بالقياس إلى سقراط وبذلك كان الخروج من حجاج إلى حجاج آخر، ومن ممارسة حجاجية إلى ممارسة حجاجية أخرى ,وهذا الإخراج مقصد من أهم مقاصد أفلاطون في محاورتيه.

و منه نستخلص أن فكر أفلاطون في الحجاج من خلال هاتين المحاورتين ينطلق من الخطابة التي تعتمد على دعامتين أساسيتين هما العلم و الخير على عكس الحجاج السفسطائي الذي يعتبره حجاجا مخادعا .[1]

2. 1. 2. الحجاج عند السفسطائيين

السفسطائيون تيار فكري ظهر في العالم الإغريقي و قوي بأثينا في القرن الخامس قبل الميلاد بالخصوص كما ذكرنا و الصفة **سوفيستاس** كانت في الأصل لقب تقدير هي تعني في معناها الاشتقاقي الحكيم و الرجل ذو الكفاءة المتميزة في كل شيء.

إن اهتمام السفسطائيين كان موجه ا إلى الجدل وإلى مشكلة المعرفة على وجه العموم وكان **بروتاغوراس** يرى أن القدرة على التعليل السفسطائي لإقناع الآخرين تحتاج إلى تدريب وممارسة،

[1] السابق, هشام الريفي،، ص، 62 ،63 يراجع

بالإضافة إلى ضرورة توفر بعض المواهب الطبيعية, فقد كان **بروتاغوراس** و أتباعه من السفسطائيين يكرسون حياتهم لهذا الفن الجدلي و يرون أن المهارة والتمرس فيه شرط أساسي للنجاح في الحياة العامة و لا يتحقق هذا إلا باستخدام جميع الوسائل سواء كانت أخلاقية أو غير أخلاقية. [1]

ولقد استندت ممارستهم للحجاج إلى تصورهم * **النافع** * فهم لم يعلقوا النافع بالخير بل علقوه باللذة حسب ما ذكر أفلاطون, لذة الاستهواء بالنسبة إلى المقول إليه ولذة النفع بالنسبة إلى القائل, وفي هذا الإطار يتنزل مذهب * **كوركس** * في استغلال المحتمل و توجيه الحجاج بحسب النفع الذي يقصد إليه المحاج.

كما كان السفسطائيون يمارسون سلطة الحجاج و يقصدون بذلك الحصول على سلطة في المجتمع إذا كانت غايتهم تعليم طلبتهم البلاغة والإلقاء والقدرة على الجدل حتى يستطيعوا أن يواجهوا كل مسألة إما بفكرة صحيحة أو تلاعب بالألفاظ لإقناع السائل, لذلك كان من أهم تعاليمهم علم البلاغة, فهم يعلمون الشباب كيف يخدمون الفكرة, و على أي وجه كان سواء بالحق أو بالباطل, حتى روي عن أحدهم انه قال: ليس من الضروري أن تعلم شئ عن الموضوع لتجيب.[2]

و من خلال ما سبق نلحظ أن اهتمام السفسطائيين كان منصبا على تعليم طلبتهم كيف يكسبون الخصم بشتى الوسائل كلعب بالألفاظ, الاستعارات, الكنايات الجذابة بخداع المنطق و تمويه

[1]. السابق, هشام الريفي،، ص 64 -65 يراجع

[2]. المرجع نفسه, ص 69. يراجع

الحقيقة, و من أجل ذلك سمي اللعب بالألفاظ و التهريج بالحجج سفسطة محاولين من خلالها التأثير وإقناع المتلقي .

2.2 حديثا:

2.2.1 الحجاج عند بيرلمان :

أول ظهور له في أحد مؤلفات الكتاب و المفكر بيرلمان وهو مقال في البرهان **البلاغة الجديدة** وقد اعتمد محاولة لإعادة و تأسيس البرهان أو الحاجة الاستدلالية .

ويقدم بيرلمان تعريفا للحجاج يركز فيه عن وظيفة هذا الحجاج وهو<< حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع >>[1] ، يظهر هنا جليا الفائدة من الحجاج أن تقنع شخصا بقضية أو تزيد من شدة إقناعه عن طريق الحجاج، لحمله إلى عمل أو تهيئة ذلك.

وبما أنّ حد الحجاج << أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها >>[2] . فهو ما أدى **بيرلمان** بأن يطلق مصطلح الخطابة الجديدة عام 1958، وهي دراسة تتناول الحجاج بوصف خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي ، والتأثير في سلوكه، وبهذا يتخذ الحجاج مفهومين:

[1] . عباس حشاني, مصطلح الحجاج بواعثه و تقنياته, مجلة المخبر ،أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة بسكرةالجزائر، العدد التاسع 2013، ص269

[2]. المرجع نفسه, عباس حشاني ص269

أولا: << طريقة تحليل و استدلال ،بقصد تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الاعتقاد و السلوك >>[1]

ثانيا: << عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين >>[2]

2.2.2. الحجاج عند ميشال ميار :

الحقيقة أن تصور ميار للخطاب اللغوي وطبيعته ووظيفته ركن أساسي من أركان عملية التفلسف لديه بل لعله منطلق عملية التفلسف ذاتها فهو الذي به تكون ثم تنشأ لتستقر قاعدة الصرح الفلسفي العام الذي هو بصدد بنائه و هو صرح يشمل مجالات فلسفية عديدة .[3]

كما يرى ميار أن الحجاج متصل بطبيعة تحديد الكلام ووظيفته التساؤلية فالحجاج عنده مساير لاستعمال الكلام و هو لا يتصل بضرب مخصوص من الخطابات بل يشمل كل أنواع الخطاب الشفوي و منه المكتوب .

وتقوم عملية الحجاج عنده على مفهومين أساسين هما : ضمني ومصرح به, فالمصرح به هو ظاهر السؤال، أما ما هو ضمني فتلك الإمكانات المختلفة للإجابة عن سؤال واحد .[4]

---

[1]. جميل عبد المجيد , البلاغة والاتصال, دار غريب القاهرة, دط 2000, ص 105

[2]. المرجع نفسه, ص 106

[3]. حمادي صمّود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مكتبة الإسكندرية,دط دس, ص389

[4]. المرجع نفسه, ص 394

III. المبحث الثالث : وسائل الإقناع

1. تعريف الإقناع:

1. 1. الإقناع في اللغة :

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس, القاف والنون والعين أصلان صحيحان , أحدهما يدلُّ على الإقبال على الشيء وهو الإقناع , والآخر يدل على استدارة في الشيء وهو القِنع بكسر القاف , وآخرٌ شذّ عن هذا الأصل (الإقناع) وهو ارتفاع الشيء ليس فيه تَصَوُّبٌ .[1]

ولعلى المعنى الأول (الإقناع) هو ما يهمنا في هذا البحث , فلقد ورد ذكر لفظة الإقناع في قوالب لغوية تحمل عدة دلالات أهمها :

. ما ذكر في لسان العرب << أقنعني كذا أي أرضاني >>[2]

. وفي معجم العين << فلان مُقْنِعٌ : أي يُرضى بِقَوله >>[3]

وهنا يتضح لنا أن الإقناع في اللغة الرضى والقبول بالرأي والإطمئنان إليه

---

[1]. السابق, أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ج 5, ص 32-33 يراجع

[2]. السابق, ابن منظور, ص 3754

[3]. الخليل ابن أحمد الفراهيدي, كتاب العين مرتبا على حروف المعجم, ج 3, ت عبد الحميد هنداوي, دار الكتب العلمية بيروت, ط 1- 2003 ص 435

1. 2. الإقناع في الاصطلاح

إذا كانت الخطابة فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية قصد الإفهام والتوجيه... فإنه يستلزم على الخطابيُّ أن يبني كلامه على الحجج والبراهين وذلك لأن الهدف الذي يريده من خطابه هو إقناع السامع أي: << إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لديه >> [1] , فالإقناع من هذا الباب هو << حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك >> [2]

ولما كان الإقناع يعني وجود طرفين أو أكثر , وأنه فن ذو صلة متلازمة مع المجتمع بشرائحه المتفاوتة في البيئة والثقافة واللغة...فلا بدّ من توفر أمور ثلاثة يمكن من خلالها أن تتم عملية الإقناع بأكمل وجه:

1. فاعل يقوم بعملية الإقناع : ويستلزم هنا أن يكون للخطيب القدرة على استمالة الجمهور إليه وإحداث تغير في نفوسهم , وذلك بامتلاكه منطق الإقناع والتأثير.

2. مادة إقناعية : والمتمثلة في الحجة التي يتم من خلالها التوصل إلى إقناع المتلقي كالقرآن الكريم والأحاديث النبوية والحقائق العلمية ...[3]

3. متلقي (الجمهور) : ويجب أن يكون المخاطَب في هذه الحالة مهيأً لقبول القول والاقتناع به لأن العملية الإقناعية مبنية على الإقناع والإقتناع ولا يمكن أن تقوم على جانب واحد منها .[4]

---

[1] . السابق, عبد الهادي بن ظافر الشهري, ص 444

[2] . عبد الجليل عبده شلبي, الخطابة وإعداد الخطيب, ص13

[3] . طه عبد الله محمد السبعاوي, أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي, دار الكتب العلمية بيروت, دط دس, ص19 يراجع

[4] . سليم حمدان, أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي, مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير, جامعة الحاج لخضر باتنة, ص9

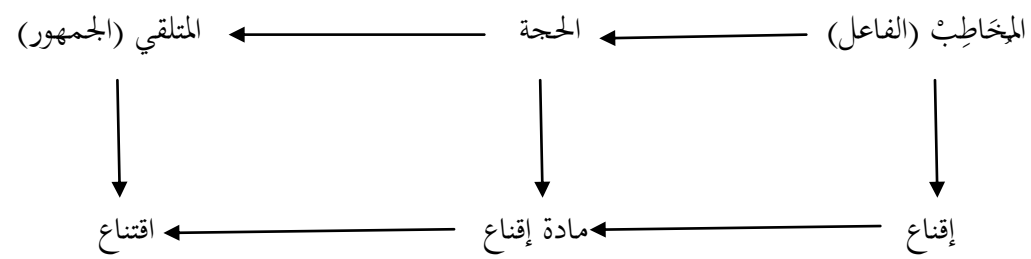

وعليه << فالإقناع محصلة قول حجاجي تُرفع بسلطته المسافة بين الإنسان والإنسان ويوجه لتحقيق أغراض مختلفة >>,[1] ويعد الإقناع أسلوبا للتأثير الدعائي والمنضم في الفرد أو الجماعة, وصاحب الدعاية الحجاجية حينما يحاول أن يقنع الجمهور بصحة ما يحاجج له, فإنه يلجأ إلى ثلاث فئات أساسية من الحجج هي:

. الوقائع الجدية التي لا مراء فيها .

. الحجج التي تتضمن المخاطبة الإيجابية والتي يكون بموجبها قبول الرسالة المعروضة .

. الحجج التي تتضمن المخاطبة السلبية والتي توجه الانتباه إلى العواقب غير المطابقة التي قد تنشأ بسبب عدم قبول الرسالة .[2]

ولما كان هدف الإقناع إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لدى المستمع, فإنّ هذا الهدف يتحقق بواسطة وسائل وتقنيات ، تتعلق في مجملها بمقاصد الخطاب والمتكلم المحاجج ، ودور المستمع المتلقي ، واللغة التخاطبية التي تكون ضمن الخطاب الإقناعي .

---

[1]. محمد عطا الله, الإقناع في الخطاب الحجاجي, مقاربة لوسائل الإقناع في عيون البصائر, دار الذهب الأسود حاسي مسعود ورقلة, ط1, 2013 ,ص 17

[2]. المرجع نفسه, ص 18-19 يراجع

2. وسائل الإقناع :

2. 1. الوسائل النفسية والاجتماعية:

يحتاج المتكلم إلى استمالة المتلقي والتأثير فيه, عن طريق وسائل وتقنيات نبدأها بالجانب الذاتي الذي يتمثل في فكر المحاجج وقدرته على تهيئة المتلقي لقبول أفكاره ومقاصده, << ولا ريب أن الناس يتفاهمون ببواطنهم أكثر ما يتفاهمون بظواهرهم, وإن لاح لنا أن الأمر خلاف ذلك, لطول عهدنا باستخدام اللغة في الإعراب عن مرادنا, فما اللسان إلا الموضّح والمفسر لما عساه ينْبهم على السامع مع مجمل سر المتكلم, ومما قد تحتويه أفكاره >>[1] << لذا فإن تأثر المتلقي واستجابته للرسالة يرجع- أكثر ما يرجع- إلى الإرسال نفسه ، إلى الصورة والمظهر، ولو كانت الرسالة رسالة محاجّة ومناظرة >>.[2]

إن هذه الوسائل النفسية والاجتماعية تتمثل في مجموعة من السمات والشروط نذكر منها :

1. دراية المتكلم وقدرته على الإحاطة بالمستمع الذي يوجه إليه خطابه الحجاجي، ورصيده الثقافي الحضاري ، وتطلعاته وطموحاته . لأن الخطأ في تصوّر هذا المستمع لا يوصل إلى النتائج المرجوة . فقد تكون عكس ما قُصد به من البداية .

2. حسن تلاؤم موضوع الخطاب الحجاجي مع المقام ، خاصة ما تعلق بالزمان والمكان .

[1] . محمد عبد المطلب, البلاغة والأسلوبية, مكتبة لبنان ناشرون بيروت, ط1 1994, ص228

[2] . السابق , محمد عبد المجيد, ص 148

3. اختيار المتكلم للمقدمات المعتمدة في الحجاج ، على أساس قضايا احتمالية ، قابلة للحوار والنقاش ، تمكن من شدّ انتباه المستمع.[1]

4 . المرونة التي تتمثل في قدرة المرسل على التغيُّر أمام المشكلات التي قد تواجهه في العملية الإقناعية, وهذه السمة تتوفر بدرجة عالية لدى المحاجج المبدع

5. مراعاة الإحساس اللغوي عند المرسل إليه والتسلسل الاجتماعي الذي يجبر المتكلم المستدلّ على تغيير طرقه في التعبير, لأن الظروف هي التي تجعله ينقص أو يزيد من أدائه, من خلال الفارق الاجتماعي الموجود بينه وبين المرسل إليه. [2]

6. جمالية الأسلوب في عملية التحاجج , فالأسلوب مجموعة ألوان يصطبغ بها الخطاب ليصل إلى إقناع المتلقي وشدّ انتباهه وإثارة خياله.

7. قدرة المرسل على إظهار اقتناعه بصحة الخطاب الذي يستدلّ له

8. مراعاة اهتمام كبير لعنصري الصوت والإشارة , و استخدامهما بشكل صحيح يساعد في استمالة المتلقي والتأثير فيه .

[1] . حمدي منصور جودي, خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي, مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير, جامعة محمد خيضر بسكرة, ص 61

[2] . السابق, محمد عبد المطلب, ص 235 يراجع

2. 2. الوسائل البلاغية :

ليس الحجاج علما يوازي البلاغة, بل هو ترسانة من الأساليب والأدوات يتم افتراضها من البلاغة, ولذلك فمن اليسير الحديث عن اندماج الحجاج مع البلاغة في كثير من الأساليب, ولما كان مجال الحجاج هو المحتمل غير المؤكد والمتوقع, فقد كان من مصلحة الخطاب الحجاجي أن يقوّيَ طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس.[1]

و هذه الوسائل كثيرة ومتعددة أهمها:

2. 2. 1. الاستعارة ودورها الإقناعي :

<< يمكن للاستعارة أن تتحول إلى حجة عندما تعمل على الإقناع, إذ تتعدى الزخرف فتصبح أداة إقناعية حقيقية >>[2] من شأنها تغيير لفظا مجردا إلى خطاب مجازي مقبول لدى المتلقي, << فتحدث تغيرا في الموقف الفكري أو العاطفي >>[3] لدى المرسل إليه , وهو ما يود المرسل تحقيقه .

قال عُرْوة ابن الورد :

ثعالب في الحرب العوان, فإن تبخ وتنفرج الجلى, فإنهم الأسد

---

[1] . صابر الحباشة, التداولية والحجاج مداخل ونصوص,صفحات للدراسات والنشر سوريا, ط1 2008, ص 50 يراجع

[2]. يمينة تابتي, الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي, مجلة الخطاب,ت صالح بلعيد, مصطفى درواش وآخرون, الأمل تيزي وزو,العدد الثاني 2007, ص 303

[3] . السابق, عبد الهادي بن ظافر الشهري, ص 495

نجد عروة هنا يصف قومه بالوصف الذي يجعلهم في مرتبة أعلى من غيرهم ولذلك أقحم السمات التي يمكن أن تفيهم حقهم, فاستعمل صفات الدهاء والحيلة في الحرب, والحرص مع الشجاعة في السلم.[1]

وهنا يمكن القول أنّ للاستعارة قوة حجاجية من شأناه أن تجعل من الخطاب أكثر مصداقية عند من يوجّه له هذا الخطاب , إذ تقريب اللامحسوس من المحسوس يسهل عملية الإدراك والفهم.

2.2.2. التمثيل :

وهو عقد الصلة بين صورتين, ليتمكّن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه, وقد عقد الجرجاني فصلا في مواقع التمثيل وتأثيره, هو أن التمثيل إن كان حجاجا كان برهانه أنور, وسلطانه أقهر, وبيانه أبهر, وهذا ما يعمد إليه المرسل لبيان الحال, والإقناع بما يذهب إليه [2] , فالتمثيل من حيث قدرته البلاغية قادر على الاستمالة والتأثير في المخاطَبين .

والتمثيل في إقامة الحجة يكون أقوى برهان وأقوى سلطان كقول المتنبي في سيف الدولة :

فإن تفِق الأنام وأنت منهم *** فإنّ المسك بعض دم الغزال

ذكر أن سيف الدولة فاق الأنام بأوصافه الفاضلة, حتى صار كأنه جنس آخر فوقهم, وهذا القول يفتقر من يدعيه إلى أن يثبت وجوده في الجملة, ليتسنى له ادعاء وجوده في الممدوح, فلما قال:

[1] . السابق, عبد الهادي بن ظافر الشهري, ص 495 يراجع

[2] . المرجع نفسه, ص 497 يراجع

فإن المسك أصله دم الغزال , فقد احتجّ لدعواه, وأبان أن لها أصلا في الوجود, فإن المسك أصله دم , ولكنه خرج بأوصافه الشريفة عن جنس الدم, وصار جنسا آخر إذ لا يوجد في الدم شيء من أوصافه ولا في المسك شيء من أوصاف الدم. [1]

2. 3. الوسائل المنطقية:

2. 3. 1. القياس المنطقي:

يعد القياس المنطقي وسيلة منطقية من وسائل التعليق بين الأقوال للوصول إلى نتائج , ففي القياس المنطقي يصبح أحد القولين مرتبطا بالآخر عن طريق تعليقهما بقول ثالث , يمثل طبقة من موضوعات أو مفاهيم أعلى من القولين الآخرين. [2] فالقياس المنطقي إذا << يقوم على الاستنتاج العلمي الصارم >>[3] ويكون القياس المنطقي على الشاكلة التالية:

.كل اللغويين علماء

. زيد لغوي

. زيد عالم

[1] . عبد العاطي غريب علّام, دراسات في البلاغة العربية, جامعة قان يوسف بنغازي,ط1-1997, ص117 يراجع

[2] . السابق , محمد عطا الله, ص 20, يراجع

[3] . السابق, محمد العمري, ص 71

وعلى هذا يتكون القياس المنطقي من ثلاث أقاويل

1. المقدمة المنطقية الكبرى ⟵ كل اللغويين علماء⟵ مصرحا بها

2. المقدمة المنطقية الصغرى ⟵ زيد لغوي ⟵ مصرحا بها

3. نتيجة ⟵ زيد عالم ⟵ تكون عن طريق استنتاج

ولا يتم الحكم على القياس المنطقي, من خلال معرفة هل الاستنتاج صحيح أم خطأ , ولكن من خلال معرفة هل العلاقة بين الأقوال صحيحة أم غير صحيحة, وعليه تبقى وظيفة القياس المنطقي في الخطاب الحجاجي هي الانتقال مما هو مسّلم به عند المخاطب (المتلقي) , وهي المقدمة الكبرى إلى ما هو مشكل وهي النتيجة.[1]

2.3.2. القياس المضمر:

يعد القياس المضمر شكل من أشكال القياس المنطقي, إلا أن القياس الإضماري يختلف عن القياس المنطقي, والاختلاف يكمن في حذف أحد المقدمتين, وعادة ما تكون المقدمة الكبرى وذلك على أنها مسلمٌ بها, فالقياس المضمر << عرضٍ خارجي في الاستدلال مرجعه إضمار إحدى المقدمتين >>[2]

[1]. السابق, محمد عطا الله , ص 21

[2]. السابق , محمد العمري, ص 71

<< وهو بذلك على غير القياس المنطقي في الحجاج, إذ تقتصر وظيفته على الانتقال مما يسلم به المتلقي وهو المقدمة الكبرى, إلى ما هو مشكل وهو النتيجة فإذا لم يقبل المتلقي المقدمة الكبرى يصبح الحجاج باطلا >>[1]

مثال:

. بر الوالدين يرضي الله تعالى

. بر الوالدين يُدخل الجنة

القول الأول يمكن أن يدخل تحت طبقت كبرى وهي :

. كل عمل يرضي الله تعالى يُدخل الجنة

[1]. السابق, محمد عطا الله , ص 28

وعلى هذا الشكل يصبح القياس المضمر كما يلي :

مقدمة كبرى ⟵ كل عمل يُرضي الله تعالى يُدخل الجنة

⇩

مضمنة

مقدمة صغرى ⟵ بر الوالدين يُرضي الله تعالى

⇩

مصرحا بها

النتيجة ⟵ بر الوالدين يُدخل الجنة

⇩

مصرحا بها

⇩ ⇩ ⇩

قياس مضمر محذوف المقدمة الكبرى

نلاحظ أنّ المقدمة الكبرى هي المحذوفة ونحن من سعى إلى استنتاجها, لذا فالمتلقي في هذه الحالة يتوجب عليه التركيز إثناء الخطاب, لأن حذف المقدمة الكبرى ترك المجال للمستمع الذي هو من يقوم باستحضارها عن طريق الاستنباط.

2. 3. 3. القياس المتدّرج :

وهو النوع الأكثر تعقيدا من النوعين السابقين, إذ يعد << امتدادا معقدا للتعليل القائم على القياس المنطقي, وذلك بأن تتصل بعض مجموعات القياسات ببعض, حتى تؤدي إلى نتيجة هي المقدمة الكبرى لنتيجة أخرى لاحقة.>>[1]

مثال :

.كل دعاء لغير الله شرك.

.كل شرك يعد من الكبائر.

.كل الكبائر تقود إلى غضب الله.

.كل ما يغضب الله يوجب العقاب.

.كل دعاء لغير الله يوجب العقاب .

يمكن استخراج عدة أقيسة منطقية وإضمارية من خلال مكونات القياس المتدرج السابق في المثال , وتكون على النحو التالي :

أ. تشكل الجملة الأولى والثانية مقدمة كبرى وأخرى صغرى على التوالي لقياس منطقي نتيجته غير ظاهرة وهي (كل دعاء لغير الله يعد من الكبائر)

[1]. السابق, محمد عطا الله,ص 41

وعليه يكون القياس على الشكل التالي:

. مقدمة كبرى ⟵ كل دعاء لغير الله شرك ⟵ مصرحا بها

. مقدمة صغرى ⟵ كل شرك يعد من الكبائر ⟵ مصرحا بها

. النتيجة ⟵ كل دعاء لغير الله يعد من الكبائر ⟵ضمنية

⇩ ⇩ ⇩

قياس منطقي

ب . نلاحظ أن النتيجة الأخيرة هذه, أنها مقدمة كبرى محذوفة لقياس آخر في المثال الدال على القياس المتدرّج, وعليه :

. مقدمة كبرى ⟵ كل دعاء لغير الله يعد من الكبائر ⟵ضمنية

. مقدمة صغرى⟵ كل الكبائر تقود إلى غضب الله ⟵ مصرحا بها

. النتيجة ⟵كل دعاء لغير الله يقود إلى غضب الله ⟵ ضمنية

⇩ ⇩ ⇩

قياس مضمر

ج . نلاحظ أنّ النتيجة السابقة أيضا مقدمة كبرى ضمنية, وعليه:

. مقدمة كبرى ⟵ كل دعاء لغير الله يقود إلى غضب الله ⟵ ضمنية

. مقدمة صغرى ⟵ كل ما يغضب الله يوجب العقاب ⟵ مصرحا بها

. النتيجة ⟵ كل دعاء لغير الله يوجب العقاب ⟵ ضمنية

⇩ ⇩ ⇩

قياس إضماري

. النتيجة العامة للقياس المتدرج هي كل دعاء لغير الله يوجب العقاب.

2. 4. الوسائل اللغوية:

2. 4. 1. الإحالة:

تعتبر الإحالة أحد الوسائل اللسانية للحجاج , فهي من شأنها استمالة المستمع والتأثير فيه, وذلك بمراعاة ما تُسند إليه لإيجاد الشيء المحال له , << فالعناصر المُحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل, إذ لابدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها >>[1]

وتطلق العناصر الإحالية << على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة, بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب, فشرط وجودها هو النص وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام, وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام أخر. >>[2]

والإحالة ليست شيئاً يقوم به تعبير ما, ولكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيرا معينا, وهذا ما يسمح للمتكلم الإحالة حسبما يريد هو وعلى المتلقي أن يفهم مقصد تلك الإحالة حسب النص والمقام.

---

[1]. السابق, عباس حشاني, ص ص280

[2]. أحمد عفيفي, نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي, مكتبة زهراء الشرق . القاهرة, ط1 2001, ص 116

وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين:

2. 4. 1. 1 **إحالة داخل النص** (داخلية):

وهي << إحالة على العناصر اللغوية داخل الملفوظ, سابقة كانت أو لاحقة, فهي إحالة نصية.>>[1] وهي تنقسم بدورها إلى قسمين :

- إحالة قبلية تعود على مُفسر سبق التلفظ به , وهي أكثر الأدوات دورانها في الكلام.

- أحالة بعدية تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص أو الخطاب.

2. 4. 1. 2 **إحالة خارج النص** (خارجية):

وهي << إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي, كأن يحيك ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم .>>[2]

[1]. الأزهر الزنّاد, نسيج النص بحث في ما يَكونُ بهِ الملفوظ نصًا,دن المركز الثقافي العربي . بيروت, ط1 1993, ص 118

[2]. المرجع نفسه, ص 119

2. 4. 2. التكرار

حد التكرار في اصطلاح البلاغيين هو دلالة اللفظ على المعنى مردَّدا,وهو ينقسم إلى قسمين :

- تكرار يوجد في اللفظ والمعنى, كقولك لمن تستدعيه أسرع أسرع.

- تكرار يوجد في المعنى دون اللفظ كقولك: أطعني ولا تعصني, هنا أمر بالطاعة نهى عن المعصية.[1]

وتكمن قوة التكرار وتأثير هفي إعادة اللفظ أو المعنى, فهو بقدر ما يؤكد المعنى تعد له هذه الوظيفة الحجاجية, فالتكرار عبارة عن إحالة قبلية, حيث تحيل اللفظ إلى مرادفه السابق, مما يعطي المتلقي إنتاج صورة لغوية مغايرة قد تسهم في فهم مقصود المتكلم أو زيادة ترسيخ لدعواه ورأيه.[2]

ويكون التكرار في أحد الصور التالية :

2. 4. 2. 1. تكرار الشكل:

. تكرار المكرر بذاته ←ويكون إما عن تكرير اللفظ الفرد وإما عن تكرير عبارة أو جملة.

. التكرار في هيئة عنصرين اثنين من مادة واحدة ←كقولهم فلن تستغنوا عن وعظ واعظٍ ونصيحة ناصحٍ.

---

[1]. ضياء الدين بن الأثير, المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر, علق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة, ج 3, دار نهضة مصر القاعرة, دط- دس, ص3 يراجع

[2]. السابق, محمد عطا الله, ص53 يراجع

2. 4. 2. 2 تكرار المضمون :

. تكرار مفردتين متواليتيّن أو أكثر في جملة أو فقرة أو نص لمعنى واحد أو عدة معانٍ.

. تكرار المضمون المبني على مفردتين في جملتين .

. تكرار مفردتين في ثنائية.

. تكرار المضمون على مستوى الجمل والعبارات.

2. 4. 3. الحجاج بالتبادل

وفيه يحاول المرسل أن يصف الحال ن فسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين,وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات, كما يمكن أن تكون الحجج نقلا لوجهة النظر بين المرسل والمرسل إليه, مثال :

. ما يأتي بسهولة يذهب بسهولة.

. لا ترض لي إلا ما ترضاه لنفسك.

ففي المثالين السابقين دعوة المرسل للمرسل إليه إلى ترسيخ ما يحمله المرسل بينهما بالتساوي, ففي هذه الحالة يكون استعمال الحجاج بالتبادل لإقناع المرسل إليه بجدوى ما يذهب إليه المرسل . [1]

[1]. السابق, عبد الهادي بن ظافر الشهري, ص 486 راجع

الفصل الثاني

الفصل الثاني

تقنيات المحاججة في خطب الحجاج

- **المبحث الأول : تحليل خطبتان للحجاج**

1 ـ خطبته وقد سمع تكبيرا في السوق

2ـ حطبته بعد مقتل ابن الزبير

- **المبحث الثاني : خطبته في أهل العراق**

1ـ المقطع الأول

2ـ المقطع الثاني

3 ـ الوسائل النفسية والإجتماعية في الخطبة

- **لمبحث الثالث : خطبته بعد دير الجماجم**

1ـ المقطع الأول

2ـ المقطع الثاني

3ـ الوسائل النفسية والإجتماعية في الخطبة

I. المبحث الأول: خطبتان للحجاج

1. خطبة الحجاج وقد سمع تكبيرا في السوق :

1. 1. نص الخطبة

قال الهيثم: أنبأني ابن عيَّاش عن أبيه قال: خرج الحجاج يوما من القصر بالكوفة, فسمع تكبيرا في السوق, فراعه ذلك, فصعد المنبر, فحمِد الله وأثنى عليه, وصلى على نبيّه ثم قال:

يا أهل العراق, يا أهل الشِّقاق والنِّفاق, ومساوئ الأخلاق, وبني اللَّكيعةِ, وعبيدَ العصا, وأولادَ الإماء, والفَقْعِ بالقَرْقرِ, إني سمعت تكبيرا لا يُراد به الله, وإنما يُراد به الشيطان. وإنما مثلي ومثلكم ما قال عَمرو ابن برَّاقة الهمذاني:

وكنت إذا قومٌ غزَوْني غزوتهم فهل أنا في ذا يا لَهَمْدان ظالمُ

متى تجمَع القلبَ الذكيَّ وصارماً وأنْفًا حَميًا تجتنِبْك المظالم

أما والله لا تقرَعُ عصًا عصًا إلا جعلتها كأمْسِ الدَّابر.[1]

[1]. الجاحظ,البيان والتبيين,ج2, ص 13-138

1. 2. الوسائل اللغوية

1. 2. 1. الإحالة :

1. 2. 1. 1. الإحالة الضميرية

ضمير المتكلم المفرد المحيل إلى الحجاج

. ...إني سمعت...

. ...إنما مثلي....

. ...وكنت...

. ...غرَوْني...

. ...أنا...

. ...إلّا جعلتها...

نلاحظ أنّ الضمائر المحيلة إلى الحجاج أعطته حضورا متميزا في الخطبة, وهذا النوع من العناصر يدل على ذات المتكلم ومن شأنها التأثير في المتلقي وجذبه إلى الموضوع المطروح, لذلك فالوظيفة الحجاجية لهذه العناصر تكون حاضرة في النص الحجاجي عند حضورها حضورا فعّالا ومؤثرا.

وفي .... وبني اللَّكيعةِ [1]... استعمل الحجاج الضمير المتصل(الياء) المحيل إلى أهل العراق رابطا إياهم بالصفة التي وصفهم بها وهي اللكيعة, وفي... لا يراد به الله... نجد الحجاج استعمل الضمير (الهاء) المحيل للتكبير الذي سمعه تفاديا للتكرار, و نجد نفس الشكل في ... يراد به الشيطان .... أيضا لتفادي التكرار والربط بين أجزاء الجمل , وفي... غزوتهم... للدلالة على القوم وفائدته الربط والتشخيص.

نلاحظ أنّ العناصر الإحالية موجودة في هذه الخطبة وأدت الدور الفعّال في تماسك نص الخطبة واتساقه , فكل عنصر إيحالي << يأتي تعويضا عن وحدات معجمية (أسماء مفردة وما يضارعها من المركبات) >> [2], ويستعمل كوسيلة حجاجية للتأثير والإقناع, عن طريق إبراز ذات المتكلم وحضوره في الخطاب مثلا.

[1]. اللّكيعة : يقولون بنو اللّكيعة, فالو: وقياس ذلك اللّكلع, وهو الوسخ, ابن فارس, مقاييس اللغة, ج5, ص264-265

[2]. أحمد عفيفي, الإحالة في نحو النص, دار العلوم جامعة القاهرة, دط, دس, ص22

1. 2. 2. التكرار :

1. 2. 2. 1. تكرار الشكل :

مثل قول الحجاج ...سمعت تكبيرا لا **يُراد** به الله وإنما **يُراد** به الشيطان... نلاحظ هنا أنه كرر المكرر بذاته عن طريق تكرير لفظة يُراد, فالحجاج أراد تثبيت رأيه (أن القصد من التكبير يراد به الشيطان) في ذهن السامع عن طريق تكرار اللفظة.

وفي قوله أيضا ... لا تقرَعُ **عصًا عصًا** ... تكرار الشكل بذاته عن طريق تكرير لفظة عصًا مرتين, وهنا استعمل التكرار لتأكيد وعيده للمتلقي (أهل العراق), وجعله يُسلم بالواقع الذي يريده المتكلم (الحجاج).

كما نجد أيضا تكرار في قوله... وإنما **مثلي ومثلكم** ما قال...و... وكنت إذا قومٌ **غزَوْني غزوتهم**... وهو تكرار جزئي , أراد الحجاج من خلاله التأثير في أهل العراق , وهذا الاستعمال يرمي به الحجاج إلى فرض مبدإ التساوي بينه وبين المتلقي.

1. 2. 2. 2. تكرار المضمون :

نجد تكرار المضمون في قول الحجاج في بداية خطبته حين وصف أهل العراق فقال ... يا أهل **الشِّقاق والنِّفاق, ومساوئ الأخلاق**...

نلاحظ أن الحجاج في هذا الاستعمال, استخدم الشكل وكرره من خلال مضمونه, لتأكيد سوء ودناءة الصفة التي يحملها الشكل (الشقاق والنفاق) باستخدام المضمون (مساوئ الأخلاق) .

الشِّقاق والنِّفاق ⟵ مساوئ الأخلاق

⇩ ⇩

الشكل المضمون

1. 2. 3 . الحجاج بالتبادل :

نحو قول الحجاج ... **وإنما مثلي ومثلكم** ما قال عَمرو ابن برَّاقة الهمذاني: وكنت **إذا قومٌ غزَوْني غزوتهم**...

في هذا الخطاب دعوة الحجاج (المرسل) لأهل العراق (المرسل إليه) إلى ترسيخ ما يحمله في هذا الخطاب بينهما بالتساوي, فيقول: إنما ...مثلي ومثلكم...غزوني غزوتهم...

نلاحظ أن الحجاج ابن يوسف الثقفي استعمل الحِجاج بالتبادل لإقناع أهل العراق بجدوى ما يذهب في خطبته عن طريق المراوغة باستعمال مبدأ التساوي بينه وبين من يُوجّه لهم الخطاب.

ما نستخلصه في هذا الجانب, أنّ الوسائل اللغوية موجودة بكثرة في هذه الخطبة واستعملت استعمال بنّاء حافظ على جمالية الخطبة وتناسق تركيباتها من جهة, وبيان ما تحمله من أراء ودلالات من جهة أخرى, فهذه الوسائل أدت دورها الجمالي والإقناعي بدقة كبيرة, تدل على القدرة الإقناعية التي يمتلكها صاحب هذا الخطاب وحسن استعمالها اللغة بشكل هادف .

1. 4. الوسائل النفسية والاجتماعية

وفي هذا الحيز نجد الحجاج قد استدلّ بعنصر حجاجي متلائم مع المقام الذي أورد من أجله خطابه، مما يبين قدرته على التغير أمام المشكل الذي يواجهه, وهو ردة فعل أهل مكة . التي تدين ما صنعه الحجاج . بعد مقتل ابن الزبير.

فلقد واجه الحجاج هذا المقام بمرونة وقدرة عالية في الإقناع والتأثير, مصاحبا ذلك بجمالية الأسلوب وحسن اختياره للألفاظ بصيغ متعددة .

2. خطبته بمكة بعد مقتل ابن الزبير :

2. 1. نص الخطبة

لما قَتَل الحجاجُ عبد الله بن الزبير, ارتجَّت مكة بالبكاء, فصعد المنبر فقـال: << ألا إن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة, حتى رغب في الخلافة, ونازع فيها, وخلع طاعة الله, واستكنّ بحرم الله, ولو كان شيء مانعا للعُصاة لمنَع آدم حرمة الجنة, لأن الله تعالى خلقه بيده, وأسجد له ملائكته, وأباحه جنته, فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته, وآدم على الله أكرم من ابن الزبير والجنة أعظم حرمةً من الكعبة >>[1]

[1]. أحمد زكي صفوت, جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزاهرة, ص 273-274

2. 2. الوسائل البلاغية:

2. 2. 1. الاستعارة:

الاستعارة أحد الوسائل البلاغية الأكثر إقناعا في الخطاب ونجدها في هذه الخطبة في قوله ... **وخلع طاعة الله** ....وهذه استعارة مكنية وهي << ما حذف فيها المشبه به, ورمز إليه بشيء من لوازمه >>.[1]

وهنا شبه الحجاج طاعة الله باللباس وحذف اللباس وأبقى على أحد لوازمه وهو الخلع (الخلع يكون على الأغلب في اللباس), وهذه استعارة مكنية أراد الحجاج من خلالها تثبيت المعصية في ابن الزبير, باستعمال الخيال ليقنع المتلقي بالشيء الذي يحمله.

[1]. حفني ناصف محمد دياب وآخرون, دروس البلاغة, مكتبة المدينة كراتشي باكستان, ط1 2007 , ص 167

2. 2. 2. التمثيل:

التمثيل هنا كان عن طريق اعتماد الحجاج القصص القرآنية كدليل في إقناع أهل مكة ومعارضيه , فالحجاج في هذا الخطاب عقدَ الصلة بين صورتين , صورة آدم وخروجه من الجنة بعد المعصية التي ارتكبها وهي الأكل من شجرة الخلد , وصورة ابن الزبير وخروجه من الدنيا (أي موته) بعد المعصية التي ارتكبها , وهي النزاع على الخلافة,

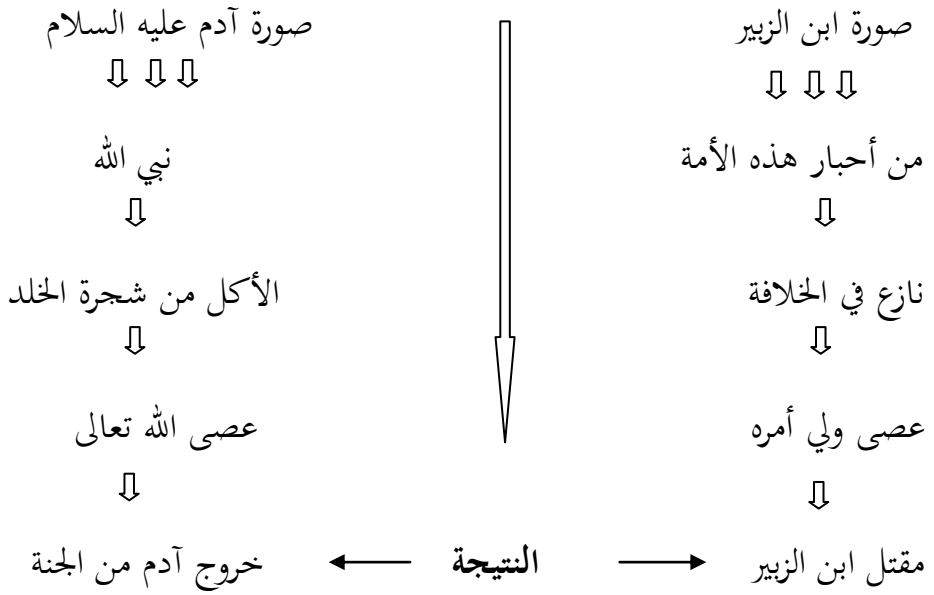

إن هذا الأسلوب من أنواع التمثيل من شأنه التأثير في نفوس السامعين واستمالتهم, فرغم الجريمة التي ارتكبها الحجاج في حق ابن الزبير وفي حق أهل مكة, استطاع من خلال هذا النوع من التمثيل التأثير في نفوسهم ولو بإسكاتهم عن الحق والرد على الباطل, المرسل هنا بهذه الوسيلة التي استعملها وصل إلى النتيجة المرجوة وهي إقناع المرسل إليه بما يحمل المرسل من أقوال .

2. 3. الوسائل اللغوية :

2. 3. 1. الإحالة :

2. 3. 1. 1. الإحالة في الضمير

. ونازع فيها ⟵ الضمير الهاء محيل إلى ابن الزبير

. الله تعالى خلقه بيده ⟵ الضمير الهاء إلى الله تعالى

. أسجد له ملائكته ⟵ الضمير الهاء الأول محيل إلى ابن الزبير والثاني محيل لله تعالى

. أباحه جنته ⟵ الضمير الهاء محيل لله تعالى

. فلما عصاه ⟵ الضمير الهاء محيل إلى ابن الزبير

. أخرجه منها بخطيئته ⟵ الضمير الهاء الأول محيل إلى الله تعالى,والثاني للجنة, والثالث لابن الزبير

عمل الضمير المتصل الهاء على أغناء الخطبة من الناحية المعنوية, فالهاء هنا عبارة عن وحدة لغوية تصلح للربط بين الجمل لإنشاء نص, وتفادي التكرار وفقا لقانون الاقتصاد اللغوي, فهي عملت على تماسك نص الخطبة وانسجامه .

2. 3. 1. 2. **الإحالة الإشارية :**

. من أحبار هذه الأمة ⟵اسم هذه محيل إلى الأمة

فاسم الإشارة (هذه) عملت على الربط النصي, فبدلا من أن يستعمل الحجاج (إن ابن الزبير كان من أحبار أمة الإسلام) استعمل اسم الإشارة للربط, مؤكدا مكانة ابن الزبير ليضع المستمع في حالة تستدعيه للإصغاء وبالتالي التأثير فيهم .

2. 3. 2. التكرار:

2. 3. 2. 1. **تكرار الشكل**

وذلك بتكرير المفردة نفسها ومن ذلك قوله... ولو كان شيء **مانعا** للعصاة **لمنع** آدم... وهو تكرار جزئي أراد من خلاله الحجاج إيصال ما يصرح به وهو إمكانية العصيان من قبل ابن الزبير حتى ولو كان من أحبار هذه الأمة, فآدم عليه السلام عصى الله وهو نبيه ومن خير خلق هو ونجد التكرار الجزئي أيضا في قوله... مانعا **للعصاة**... فلما **عصاه** أخرجه... لتأكيد معصية آدم عليه السلام, وبالتالي إمكانية العصيان من قبل ابن الزبير ليست شيئا مانعا.

ونجده أيضا كرر لفظة ا **لجنة** ثلاثة مرات في الخطبة, وهو **تكرير المكرر بذاته** ليؤكد الحجاج أن الجنة أكبر عظمة من الكعبة, وهذا النوع نجده أيضا في تكريره للفظ الجلالة **الله** أربع مرات, وتكرير لفظ الجلالة له تأثيره الخاص والكبير في نفوس السامعين, فالحجاج يستعل أسلوبا ذكيا ومقنع ا, فتارةً

ليؤكد من خلاله عظم المعصية التي ارتكبها ابن الزبير, وتارة ليجعل من خطابه أكثر إقناعا لذكره لفظ الجلالة من الحين لآخر.

ولفظة **آدم** و**ابن الزبير** كرر كلاهما مرتين, وهو تكرار المكرر بذاته, فمن ناحية مضمون الخطبة نجده لتثبيت معصية ابن الزبير وآدم عليه السلام في نفوس السامعين, أما من الناحية الشكلية فنجد أنه كرر اللفظتين بالتساوي مرتين في الخطبة, وهنا نعتقد أن الحجاج يرمي بذلك إلى مساواة ابن الزبير بآدم في هذا المثال, وبالتالي التأثير في نفس المتلقي – أهل مكة – بالقبول بالنتيجة التي يرمي إليها المرسل – الحجاج – في مثاله الذي ذكره وهو قصة آدم.

آدم عصـــــى الله ⟵ النتيجة خروجه من الجنة

ابن الزبير عصى ولي أمر ⟵ النتيجة خروجه من الدنيا

2. 4. الوسائل النفسية والاجتماعية:

في هذا الخطاب نلاحظ مرونة الحجاج المتمثلة في قدرته على تخطي هذا الموقف و نجاحه في المراوغة وقلب الأمر لصالحه, وذلك بحسن تلاؤم موضوع الخطاب الحجاجي مع المقام, فالحجاج يُظهر لنا الدقة الكبيرة التي يتميز بها في اختيار المادة الإقناعية وتلاؤمها مع الوضع الذي يحتجُّ له, فاستعمال قصة آدم وتمثيلها بما حدث لابن الزبير, من شأنها استمالة المخاطَب وأخذه للتسليم بما يحمل المخاطِب .

II. المبحث الثاني : خطبته حين ولي العراق

1. المقطع الأول :

1. 1. نص الخطبة

خرج الحجاج يريد العراق واليًا عليها في اثني عشر راكبًا على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار. وقد كان فشا أمر الخوارج وتفاقم, وتثاقل الناس عن اللحاق بالمهلب الذي كان يناجزهم. فصعد المنبر وهو ملثم بعمامة حمراء. فقال: علي بالناس، فحسبوه وأصحابه خوارج فهموا به. حتى إذا اجتمع الناس قام ثم كشف عن وجهه وقال:

أنا ابن جَلا وطلاَّع الثنايا *** متى أضع العمامة تعرفوني

أما والله إني لأحمل الشر بحمله وأحذِّوه بنعله وأجزيه بمثله, واني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها. وإني لصاحبها, وإني لأنظر الدماءَ بين العمائم واللحى تترقرق [1]:

ثم قال : هذا أوان الشد فاشتدي زيم **** قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم **** و لا بجزار على ظهر وضم

و قال أيضا : وقد لفها الليل بعصبلي ****أروع خرّاج من الدوى [2]

[1]. سلامة موسى, أشهر الخطب ومشاهير الخطباء, دار كلمات عربية للنشر والتوزيع مصر, دط, 2011 , ص 38 يراجع .
[2]. السابق, الجاحظ , ج2, ص 308-309

1. 2. الوسائل البلاغية :

1. 2. 1. الكناية :

لقد كثرت الكناية في خطابات الحجاج نظرا لما تؤديه من إضافات جمالية ومعنوية في الخطبة, حيث تمثل << لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ >> [1]. و مثال ذلك قول الحجاج : ...**أنا ابن جلا** ... وهي كناية عن الوضوح و الانكشاف.

و أيضا قوله :

... **متى أضع العمامة تعرفـوني** ... ، وهذه كناية عن صفة الشجاعة و القوة و السيطرة، و نلاحظ أنه استعمل هذا النوع من الوسائل البلاغية بغية التأثير في المتلقي بالترهيب، وبالتالي فلا جدل في التسليم بما يحمل المرسل (الحجاج).

كما نجد هذا النوع أيضا في قوله ... **إني لأنظر الدماءَ بين العمائم واللحى تترقرق** ...., وهذه كناية عن صفة الموت, أراد من خلالها الحجاج التأثير في أهل العراق و إقناعهم بما يحمل عن طريق هذا النوع من الوسائل و إن كان يرمي به إلى التهديد و الوعيد فالنتيجة واحدة و هي اقتناع المتلقي.

[1]. عبده عبد العزيز قلقيلة , البلاغة الاصطلاحية, دار الفكر العربي القاهرة، ط3 1992, ص 100

1. 2. 2. الاستعارة :

و نجد الاستعارة في هذا الخطاب بعدة أوجه ومن ذلك قوله:... **لأحمل الشر بحمله** ... و هذه استعارة مكنية شبه فيها الحجاج الشر بالشيء الملموس الذي يحمل و حذف هذا الشيء و ترك أحد لوازمه و هو الحمل .

فهذا التعبير المجازي أراد من خلاله الحجاج إيصال مفهوم عن شخصيته القوية المتسلطة و هذا النوع الحجاجي يكون بربط المضمون الذي يحمله المرسل (الحجاج) بالخيال الذي له الدور الفعال في التأثير و الإقناع .

وكذلك في قوله: ...**واني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافه ا**...شبه الحجاج الرؤوس من حوله بالثمار التي نضجت وحذف الثمار و ترك أحد لوازمها و هي الإيناع ، وهذا التعبير يرمي من خلاله الحجاج إلى تمادي أهل العراق المفرط الذي زاد عن حده و استلزم العقاب وهو القتل .

وبهذا يمكن الإشادة بدور الاستعارة في النصوص الحجاجية وعرض الحجج و التأثير على المتلقي، << على اعتبار أن وجودها في النص الحجاجي ليس تزينا و لا شعريا، و إنّما وسيلة أساسية ومتميزة للاستدلال بالقياس، و عامل لا يمكن الاستغناء عنه من عوامل الانسجام النّصي >> [1]

[1]. خديجة محفوظي, بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي, مذكرة لنيل شهادة الماجستير, جامعة منتوري قسنطينة, 2006-2007 , ص 65.

1. 2. 3. **التمثيل**:

ويظهر ذلك في الأبيات التي عرضها في خطبته و هي كالتالي :

هذا أوان الشد فاشتدي زيم **** قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم **** و لا بجزار على ظهر وضم

و هنا ربط الحجاج الصلة بين مشهدين ، المشهد الأول يتمثل في السواق (الذي يسوق الإبل) و هو الحجاج ، أما المشهد الثاني فيتمثل في دفع الإبل في مجاهل الصحراء بدون شفقة و هم (أهل البصرة) .

ويكمن الدور الحجاجي للتمثيل في الإقناع المباشر بربط الصلة بين صورتين و هذا لإقناع المتلقي بإحداث تغير في الموقف الفكري للسامع مثلما ربط الحجاج في مثاله صورة السواق بصورة الإبل .

1. 3. الوسائل اللغوية :

1. 3. 1. الإحالة

1. 3. 1. 1. **الإحالة الضميرية**

. ...**أنا** ابن...

. ...**تعرفـوني**...

. ...**إني** لأحمل...

. ...**واني** لأرى رؤوسا...

. ...**وإني** لأنظر...

. ...**وإني** لصاحبها...

نلاحظ أنّ كل هذه الضمائر محيلة إلى صاحب الخطاب وهو الحجاج ابن يوسف الثقفي, وكثرتها في هذا الجزء تعطي الحضور المتميز له (الحجاج), كما نجده من خلالها يؤكد سيطرته وسلطانه على أهل العراق, فتارة يستعملها في سياق التهديد وتارة في لتعريف بشخصيته.

ومن الجانب الجمالي نجد هذه الضمائر تعمل على الربط النصي بين أجزاء الخطاب, كما استعملت لتفادي التكرار, بالتالي إعطاء صورة جميلة للخطبة يزينها تماسك الأجزاء والانسجام الحاصل بتوظيف هذه الضمائر .

ونجده تفادى التكرار في توظيفه للضمير (الهاء) ومن ذلك قوله : ...بحمله وأحذًوه بنعله وأجزيه بمثله... واستعمل الضمير الهاء في قوله ... قطافها ... لصاحبها... المحيل إلى الرؤوس أو بالأحرى الجمهور الذي يتوعده.

1. 3. 1. 2. الإحالة الإشارية

وذلك بتوظيفه أداة الإشارة (هذا) في قوله ... **هذا** أوان الشد... للتحديد مكان ووقت الشدّ وبالتالي وضع المتلقي في موقف يجعل منه يسلم إلى ما يرمي إليه المرسل(الحجاج) .

لقد أدت العناصر الإحالية الدور الفعّال في هذا الخطاب الحجاجي, وذلك بتعدد استعمالها من قبل المرسل وتنوع أغراضها في هذا الخطاب, لذلك يمكن القول بأن لهذه العناصر وظائف إقناعية يتحكم بها المرسل في إيصاله الرسالة للمتلقي الذي بدوره قابل للتسليم والرفض حسب استيعابه واقتناعه بما يقتضيه المقام.

1. 3. 2. التكرار

1. 3. 2. 1. تكرار الشكل

يظهر التكرار في الشكل بصورة واضحة في المقطع المدروس حيث تعمده الحجاج لعدة أغراض:

وذلك بتكرار الضمير **إني** أربع مرات في هذا المقطع, وهو تكرار المكرر بذاته, واستعمله لتأكيد وجوده وفرض سيطرته على من يخاطبهم, ومن تكرار المكرر بذاته أيضا تكرير الجمل وذلك بتكريره لجملة...**وقد لفها الليل**... مرتين.

ومن صور تكرار الشكل عند الحجاج, نجد التكرار الجزئي وذلك من خلال قوله ... أما والله إني **لأحمل** الشر **بحمله**... والغرض من هذا التكرار في هذا السياق لتأكيد ما يحمله الحجاج من وعيد وتهديد للمتلقي (أهل العراق).

نلاحظ التكرار جلي في هذا المقطع وهو تكرار مفيد << يأتي في الكلام توكيدا له وتسديدا من أمره إشعارا بعظمة شأنه >> [1] ,وهذه الفوائد التي يحملها التكرار يمكن لها أن تجذب السامع للقول المكرر, وتحدث في نفسه التغير الذي من أجله كرر المرسل اللفظ بذاته أو بإعادة مضمونه .

[1]. أحمد مطلوب, معجم المصطلحات البلاغية وتطورها, ج2, دار الجمع العلمي العراقي, دط 1982 ص339

2. المقطع الثاني:

2. 1. نص الخطبة :

<< إني والله يا أهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق. لا يغمز جانبي كتغماز التنين, ولا يقعقع لي بالشنان, ولقد فررت عن ذكاء, وفتشت عن تجربة, وأجريت مع الغاية, وأن أمير المؤمنين نثر كنانته ثم عجم عيدانها, فوجدني أمرّها عودا وأشدها مكسرًا, فوجهني إليكم ورماكم بي, فإنه قد طالما أوضعتم في الفتن, وسننتم سنن الغي, وأيم الله لألحونكم لحو العصا. ولأقرعنكم قرع المروة, ولأعصبنكم عصب السلمة, ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل, أما والله لا أعد إلا وفيت, ولا أخلف إلا فريت وإياي وهذه الزرافات والجماعات, وقال وقيل, وما يقولون وفيم أنتم, والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعنّ لكل رجل منكم شغلا في جسده, من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه وانتهبت ماله وهدمت منزله. >>[1]

[1]. السابق , سلامة موسى, ص 29

2. 2. الوسائل البلاغية :

2. 2. 1. الكناية :

من خلال هذه الدراسة نجد تعدد استخدام الكناية من طرف المرسل (الحجاج), وفي هذا المقطع يتبين لنا لجوء الحجاج للكناية لما يحمله العنصر المصرح به من دلالة للعنصر الحيل إليه ومن أمثلة ذلك في قوله .... ولا **يقعقع لي بالشنان**... وهذه كناية عن فطنة الحجاج وصعوبة خداعه, فالحجاج استعمل هذا التعبير البلاغي كحجة ليقنع بها أهل العراق بأحقيته في السلطة والولاية.

ونجده أيضا يستعرض دهاءه وحلمه الكبير عن طريق الكناية في قوله ...**فررت عن ذكاء**... عن رجاحة وكمال عقله, وهذا كله ليبين للمتلقي مدى أحقيته بمنصب الولاية, فالمرسل في هذا المقام يجد نفسه أمام التسليم برأي الحجاج وما تنطوي عليه مخيلته, وفي قوله أيضا... لأدعنّ لكل رجل منكم **شغلا في جسده**... كنايه عن صفة العقاب الذي يتوعده الحجاج لأهل العراق.

2. 2. 2. دراسة الاستعارة :

ويتجلى ذلك في قوله ...إن أمير **المؤمنين نثر كنانته** [1] **ثم عجم عيدانها**... وهذه صورة بيانية تتمثل في استعارة تصريحيه, وهي تشبيه << حذفنا منه المشبه, وصرحنا بلفظ المشبه به >>[2] حيث شبه الحجاج رجاله بالكنانة التي هي جعبة السهام, وحذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به وهو الكنانة.

---

[1]. **الكنانة** : جعبة السهام, أحمد زكي صفوة, جمهرة خطب العرب, ص276

[2]. محمد مصطفى هدّارة, في البلاغة العربية – علم البيان,دار العلوم العربية بيروت , ط1 1989 ص 69

وتكمن قيمة الاستعارة كوسيلة حجاجية في توظيف الحجاج للكنانة في هذا الموقف كمشبه به صرح به بدلا من المشبه, واختياره لهذا المصطلح (الكنانة) للدلالة على الحرب والقوة, ومما يؤكد هذا القول اتباع الحجاج لهذه الصورة بصورة بيانية أخرى وهي التشبيه ونلاحظها في قوله ... **فوجدني أمرّها عودا وأشدها مكسرًا** ... وذلك ليبين لأهل العراق أحقيته في القيادة, لأنه أفضل رجال أمير المؤمنين وأكثرهم قوة ودهاء.

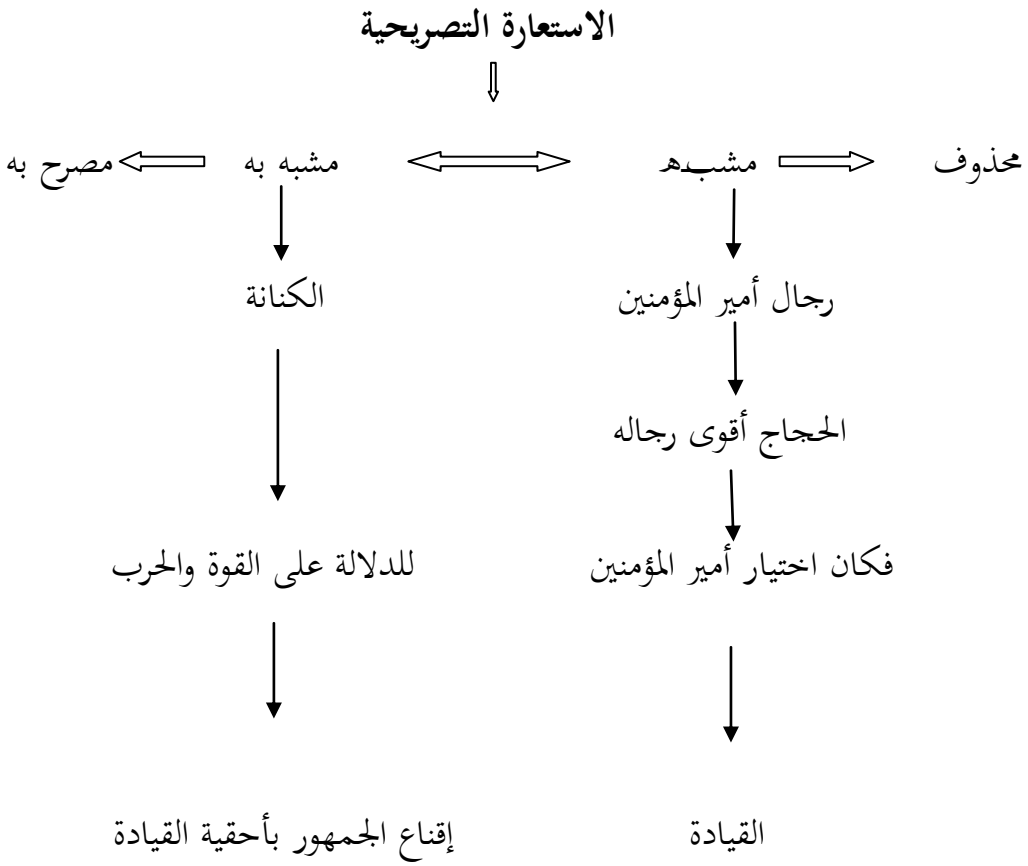

2. 3. الوسائل اللغوية :

2. 3. 1. **الإحالة :**

2. 3. 1. 1. **الإحالة الضميرية**

. ... إني....	. ... جانبي....
. ... لي....	. ... فررت....
. ... وفتشت....	. ... وأجريت...
. ... فوجدني....	. ... فوجهني...
. .... بي...	. ...وفيت...
. ... فريت...	. ...وهدمت...
.... وإياي..	. ... وجدته...
. ... سفكت...	. ... وانتهبت...

كل هذه الضمائر المتصلة منها والمنفصلة, محيلة إلى صاحب الخطاب وهو الحجاج , واستعملها بكثرة ليعطي لشخصه الحضور المتميز أمام أهل العر اق, وربط شخصه بكل أحداث الخطبة, كما استعملها لتماسك أجزاء الخطبة وتفادي التكرار.

أن كثرة استعمال هذا النوع من الضمائر من قبل المرسل, له أغراض متعددة أهمها التأثير في المتلقي, وشدّه إلى الموضوع المطروح, وبالتالي إحداث تغيير في الموقف الفكري لديه.

أن تنوع الضمائر و تعدد أغراضها أعطى الخطبة جمالا وانسجاما كبير ا بين أجزاء الكلام, مبرزة معالم الخطاب اللغوية والبيانية, فأنشأت صورة انسجامية في تماسك نص الخطبة, فالحجاج استعملها في عدة قوالب لغوية منها :

ما في قوله ... **وأيم الله لألحونكم**... **ولأقرعنكم**...**لأعصبنكم** ... **لأضربنكم**...., فالضمير كم هنا محيل لأهل العراق, واستعمله الحجاج تعمدا منه لإيصال تهديده وجديته في العقاب للمتلقي, ومن الإحالات الضميرية أيضا نجد الضمير المتصل الهاء متكرر في عدة حالات :

. ...وانتهبت ماله

.....وهدمت منزله

. ... من وجدته

.... سفكت دمه

. ... في جسده

الضمير المتصل الهاء محيل إلى أهل العراق

2. 3. 2. دراسة التكرار :

2. 3. 2. 1. تكرار الشكل:

التكرار في هذا المقطع موجود بكثرة, ففي قوله...لا **يغمز** جانبي **كتغماز** التنين... استعمله الحجاج للتأثير في السامع فهذا النوع من التكرار له وظيفة إيقاعية من شأنها استمالة المتلقي لموضوع الخطاب.

كما ونجده يوظف التكرار الجزئي بكثرة, ففي قوله ... نثر كنانته ثم عجم **عيدانها**, فوجدني أمرّها **عودا** وأشدها مكسرًا, وهنا تكمن القيمة الإقناعية لتكرار الشكل في هذا الاستعمال, في مدى ملاحظة المتلقي لقصد المخاطِب في تكرار الكلمة, وهو استعمال يبرز من خلاله الحجاج في هذا الاستعمال أنه الأحق باستلام القيادة عليهم.

وقد أطنب الحجاج في استعمال هذا النوع من التكرار ومن ذلك قوله لأهل العراق مهددا ومتوعدا:

. ... ولأقرعنكم قرع المروة...

. ... ولأعصبنكم عصب السلمة... تكرار

.... ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل... جزئـــي

.... لألحونكم لحو العصا

فغاية الحجاج من هذا التكرار هو إعطاء صورة لتهديده الموجه لأهل العراق, فقوله:

لأضربنكم ← ضرب غرائب الإبل

⇩ ⇩

تهديد الحجاج صورة الوعيد

وفي قوله ...و**سننتم سنن** الغي... تكرار جزئي, دلالته التأثير في السامع عن طريق إعطا ﷺ صورة للمسلك الذي يسلكه .

أن كثرة التكرار في هذه المقطع توحي لنا مدى جدية المرسل في إيصال ما يحمله من أفكار للمرسل إليه, فتكرار شكل المادة اللغوية كاملة أو جزء منها يفيد انتباه المتلقي للقصد الذي يرمي إليه المتكلم.

2. 3. 2. 1. تكرار المضمون :

ومن ذلك قوله ... **الشقاق والنفاق** ← **ومساوئ الأخلاق**

⇩ ⇩

الشكل المضمون

2. 4. الوسائل المنطقية :

2. 4. 1. القياس المضمر :

إن الحجاج ابن يوسف الثقفي استعمل القياس في خطابه كأحد الحجج المنطقية ومن ذلك قوله ... وأن أمير المؤمنين نثر كنانته ثم عجم عيدانها, فوجدني أمرّها عودا وأشدها مكسرًا, فوجهني إليكم ورماكم بي...

ويمكن شرح هذا المثال كالتالي:

- وأن أمير المؤمنين نثر كنانته
- ثم عجم عيدانها, فوجدني
- أمرّها عودا وأشدها مكسرًا

} أي الحجاج أقوى رجال (جند) أمير المؤمنين

- فوجهني إليكم ورماكم بي ⟸ أي أعطاه القيادة

ويمكن ان نستخرج القياس بعد هذا الشرح فيكون كالتالي:

. الحجاج أقوى رجال (جند) أمير المؤمنين

. الحجاج اختير للقيادة

يمكن أن يدخل تحت هذين المثالين طبقة كبرى وهي :

.كل جندي قوي قي نظر أمير المؤمنين يختاره للقيادة

وبعد هذا التحليل نتبين أن هذا الشكل من الوسائل المنطقية هو قياس خطابي (مضمر).

وعلى هذا الشكل يصبح القياس المضمر كما يلي :

- مقدمة كبرى ← كل جندي قوي قي نظر أمير المؤمنين يختاره للقيادة

⇩

مضمنة

- مقدمة صغرى ← الحجاج أقوى رجال (جند) أمير المؤمنين

⇩

مصرحا بها

- النتيجة ← الحجاج اختير للقيادة

⇩

مصرحا بها

⇩ ⇩ ⇩

قياس مضمر محذوف المقدمة الكبرى

نلاحظ أنّ المقدمة الكبرى هي المحذوفة ونحن من سعى إلى استنتاجها, لذا فالمتلقي في هذه الحالة يتوجب عليه التركيز أثناء الخطاب, لأن حذف المقدمة الكبرى ترك المجال للمستمع الذي هو من يقوم باستحضارها عن طريق الاستنباط.

3. الوسائل النفسية والاجتماعية في الخطبة :

أفكار الحجاج في هذا الخطاب في أفكار أمير تحمّل إدارة إقليم يزخر بالفرقة, وتكتنفه الأهواء, فثورة ابن الزبير لم تجف دماؤها, والعراق مرجل يغلي من جميع جوانبه, فلا غرابة أن نجد أفكار الحجاج تفيض بالوعيد والتهديد, فهي أفكار تحمل العزم وتبدي الظلم.

وأفكار الحجاج واضحة جلية، بعيدة عن الغموض والتأويل، وهدفها إرهاب المتطلع إلى الشقاق وردع البغي والظلم, فهي خواطر تواردت على ذهنه، يجمعها تخويف أهل العراق وإرهابهم.

ومن خلال هذه الخطبة تبين لنا, قدرة المتلقي على الإحاطة بالمستمع الذي يوجه إليه خطابه الحجاجي , وإقناعه بما يحمل, وذلك من خلال اختيار المتكلم للمقدمات المعتمدة في الحجاج ، على أساس قضايا احتمالية ، قابلة للحوار والنقاش ، تمكن من شدّ انتباه المستمع.

والحجاج من أشهر الخطباء الذين تميزوا بأسلوب خاص في خطابتهم، فهو يختار الألفاظ الغريبة المجلجلة التي تملأ الفم وتترك رنة قوية في أذن المستمع، وهذه الألفاظ هي (جلا، طلاّع، قطافها، يقعقع، فعجم، واضطجعتم).

وأما التراكيب التي تنتظم فيها هذه الألفاظ فهي تراكيب قوية متينة حسنة النظام، وحسن نظام التراكيب نجده في مثل قوله: (إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها) .

والحجاج عربي فصيح يخاطب عرباً فصحاء ولذلك فإنه لا يراعي ظهور المعنى وانكشافه بسرعة وإنما يورد بعض العبارات التي تحتاج إلى تأن في فهمها؛ فهو يعتمد على المجاز كما في قوله: (إني لأرى

رؤوساً قد أينعت وحان قطافها) وقوله: (ولقد فررت عن ذكاء). وقد ساهم الخيال في صنع أسلوب خلاب يبرز أحياناً في صورة استعارة وأحياناً في صورة تشبيه.

كل هذا الصنع من قبل المرسل يبين لنا قدرته على إظهار اقتناعه بصحة الخطاب الذي يستدلّ له, بعبقرية كبيرة تتخللها دراية المتكلم الكبيرة بنفسية المتلقي مما جعل خطابه يشكل بنية حجاجية متكاملة الأجزاء والوسائل.

III. المبحث الثالث: تحليل خطبة الحجاج بعد دير الجماجم:

1. المقطع الأول

1. 1. نص الخطبة:

خطب أهل العراق بعد دير الجماجم فقال:

يا أهل العراق, إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم,والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء,والشغاف, ثم أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ, ثم ارتفع فعشّش, ثم باض وفرّخ, فحشاكم نفاقا وشقاقا, وأشعركم خلافا, واتخذتموه دليلا تتبعونه, وقائدا تطيعونه, ومؤامرا تستشيرونه, فكيف تنفعكم تجربة, أو تع ظكم وقعة, أو يحجزكم إسلام, أو ينفعكم بيان.. ألستم أصحابي بالأهواز, حيث رمتم المكر, وسعيتم بالغدر, واستجمعتم للكفر, وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته, وأنا أرميكم بطرْفي: وأنتم تسلّلون لواذا, وتنهزمون سراعا. ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية, به كان فشلكم, وتنازعكم وتخاذلكم, وبراءة الله منكم ونكوص وليّكم عنكم, إذ ولّيتم كالإبل الشّوارد إلى أوطانها, النوازع إلى أعطانها, لا يسأل المرء عن أخيه, ولا يلوي الشيخ على بنيه, حين عضّكم السلاح, ووقصتكم الرماح, يوم دير الجماجم, وما يوم دير الجماجم, ؟! به كانت المعارك والملاحم, بضربٍ يزيل الهام عن مقيله, ويذهل الخليل عن خليله.[1]

[1]. السابق, الجاحظ, ص 138-139

1. 2. الوسائل البلاغية:

1. 2. 1. الاستعارة:

يلجأ المرسل إلى الاستعارة كوسيلة بلاغية ليعرض من خلالها أفكاره واتجاهاته.

وهنا نرى الحجاج قد استعمل هذا النوع البلاغي بكثرة ففي قوله ...ثم **ارتفع فعشّش**... استعارة مكنية فيها شبه الحجاج الشيطان بالطائر, وحذف الطائر وترك أحد لوازمه وهي الطيران والتعشيش, وفي قوله أيضا ... ثم **باض وفرّخ**... استعارة مكنية شبه فيها الشيطان بالطائر الذي يبيض ويضع الفراخ..., وهذا تعبير مجازي أراد من خلاله إيصال فكرة لأهل العراق – وهي اتباعهم الشيطان– عن طريق الخيال فوضع الشيطان موضع الطائر فيحمل التعبير دلالات منها:

. ارتفع ⟵ وهو للدلالة على اتساع درجة إتباعهم للشيطان

. التعشيش ⟵ واستعمله ليبين مدى سيطرة الشيطان على عقولهم

. باض وفرخ ⟵ وهنا استعمل هذا التعبير ليربطهم بواقعهم وطول وقت سيطر ة الشيطان على عقولهم.

إن هذا الاستعمال الذكي من قبل المرسل بإمكانه التأثير في السامع والتغ يير في واقعه الفكري والمعنوي, ولا شك أن الحجاج قصد استعمال هذا التعبير لإقناع أهل العراق وإرجاعهم إلى الحق.

و جاء في قول الحجاج ... حين عضكم السلاح ... و هي استعارة مكنية حيث شبه السلاح بالحيوان المفترس و حذف المشبه به و هو الحيوان و أتى بأحد لوازمه وهو العض.

وفي هذا المجاز أيضا استحضار من قبل الحجاج لمن قاتلهم في دِيرِ الجماجم, وربط الحدث بالخيال, بتشبيه عدوهم بالحيوان المفترس, وبذلك يكون وصول المعنى لمخيلة المتلقي بطريقة تضعه في موضع التسليم والقبول بما يحمل المرسل.

1. 3. الوسائل اللغوية

1. 3. 1. الإحالة:

1. 3. 1. 1. الإحالة الضميرية:

. ...أنا...

. ...بطرْفي...

....أصحابي...

نلاحظ أنّ هذه الضمائر محيلة إلى صاحب الخطاب وهو الحجاج ابن يوسف الثقفي. حيث نجدها قليلة متباعدة في هذا المقطع وذلك لأن نص الخطاب كان معظمه وصفا لأهل العراق بعد دير الجماجم, ووظف هذا النوع لبيان مكانته و رفعته و عظمته أمام قومه .

استعمل الحجاج ميم المخاطبة للجماعة من أجل تبيان حظ أهل العراق بالخطاب و قليل التكرار الممل الركيك مثل: (حاشكم، أشعركم, تنفعكم، تعظكم، يحجزكم، ينفعكم، رمتم، سعيتم ، استجمعتم، أرميكم، فشلكم عضّكم...إلخ.

واستعمل الضمير المتصل (الهاء) و هو يعود على الشيطان: (اتخذتموه، تتبعونه، تطيعونه، تستشيرونه ...) . وذلك تفاديا للتكرار, مؤكدا باستعماله الجرم الذي ارتكبه أهل العراق وهو اتباع الشيطان.

ووظف الهاء كذلك في قوله : (دينه و خلافته) و هي تعود على الله تعالى ليبين أنه على الحق أن الله ينصره ولا يخذله وذلك باستعمال لفظة الدين والخلافة.

و قد استعمل واو الجماعة و هي تعود على أهل العراق مثل : (تتسللون ، تنهزمون, للدلالة على المشاركة.

و كرر الضمير الهاء في قوله : (الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى أعطانها) و هي تعود على الإبل, ثم استعملها في (به) للدلالة على يوم دير الجماجم واستحضار هزيمتهم, وقد كررها في قوله : (مقيله ، خليله) فالأولى تعود على الإلهام و الثانية تعود على الخليل الصديق.

1. 3. 2. التكرار:

1. 3. 2. 1. تكرار الشكل:

لجأ الحجاج للتكرار للتأكيد واستحضار الماضي من خلال تكرير الجمل ومن ذلك قوله ... **يوم الزاوية** وما **يوم الزاوية**...وقوله أيضا... **يوم دير الجماجم** , وما **يوم دير الجماجم**...فهنا استعمل هذا التكرار لتأكيد هذه الوقائع واستحضار الماضي مثل يوم دير الجماجم.

وكذلك استعمل التكرار في قوله... ويذهل **الخليل** عن **خليله**... وهو تكرار جزئي مستعمل للتأكيد وبيان الفرقة.

1. 3. 2. 2. **تكرار المضمون** :

ونجد تكرار اللفظ من خلال معناه في هذا الخطاب في قول الحجاج.. **المعارك** و **الملاحم**...

فلفظة المعارك تعني الملاحم وبالتالي فهو يكرر لفظة المعارك من خلال معناها وهو الملاحم.

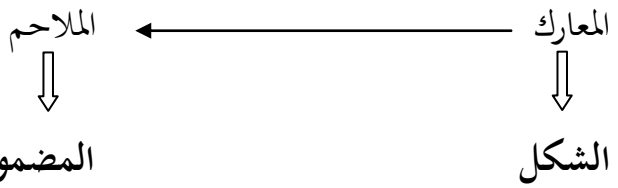

ومن تكرار المضمون أيضا قوله ...واتخذتموه دليلا **تتبعونه**, وقائدا **تطيعونه**, ومؤامرا **تستشيرونه**...

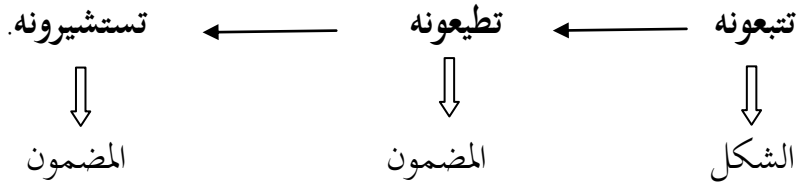

فالشكل (تتبعونه) كرر من خلال مضمونه وهو(تطيعون , تستشيرون) وكل هذه الألفاظ في هذا السياق لها دلالة واحدة وهي اتباع الشيطان.

وقد وظف هذا النوع بكثرة ففي قوله .. و**الأطراف** و**الأعضاء**... والأطراف هنا تعني أحد أعضاء الجسم, ومنه تأكيد تغلغل الشيطان في أنفس أهل العراق

الأطراف ⟵ **الأعضاء**

⇩ ⇩

الشكل المضمون

وتكرار المعنى أو المضمون أقوى تأثيرا من تكرار الشكل بذاته , ففي هذ ا المثال أستعمل التكرار للتأكيد, واستعمله أيضا لإعطاء صورة أخرى للمكرر, وبالتالي التشويق والإلهام.

2. المقطع الثاني :

2. 1. نص الخطبة:

يا أهل العراق الكفرات بعد الفجرات, والغدرات بعد الخترات, والنزوة بعد النزوات! إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم, وإن أمنتم أرجفتم, وإن خفتم نافقتم, لا تذكرون حسنة ولا تشكرون نعمة, هل استخفّكم ناكث, أو استغواكم غاوٍ, أو استفزّكم عاص, أو استنسركم ظالم, أو استعضدكم خالع إلا تبعتموه وآويتموه, ونصرتموه ورجبتموه.

يأهل العراق, هل شغب شاغب أو نعب ناعب, أو زفر زافر إلا كنتم أتباعه وأنصاره. يا أهل العراق, ألم تنهكم المواعظ ؟ ألم تزجركم الوقائع؟! .[1]

[1]. السابق, الجاحظ, ص 139-140

2. 2. الوسائل البلاغية :

2. 2. 1. الاستعارة :

وتجلت الاستعارة في هذا المقطع من خلال قول الحجاج...تنهكم المواعظ ... وهي استعارة مكنية شبه فيها الحجاج المواعظ بالإنسان الذي ينهى وحذف الإنسان وترك أحد لوازمه وهو النهي.

ونجده يكرر الاستعارة بنفس النسق في قوله ... تزجركم الوقائع... وهنا شبه الوقائع بالإنسان وحذفه وترك أحد لوازمه وهي الجزر.

إن استعمال الحجاج للخيال في خطابه عن طريق الاستعارة يفيد << التلطف لما أراد إثباته حتى يجعله كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول, وكالأمر الذي نُصب له دليلٌ يقطع بوجوده >> [1] , فهذا النوع من الخيال يمكن أن يؤدي وظيفة حجاجية من خلال تأثير الخيال في المستمع وجذبه للمشهد الذي يستدعي منه التفكير لإيجاد قيمة المشبه به عن طريق الدليل.

[1]. عبد القاهر الجرجاني, دلائل الإعجاز في علم المعاني, ت ياسين الأيوبي, المكتبة العصرية بيروت,دط 2007, ص 118

2. 3. الوسائل اللغوية :

2. 3. 1. الإحالة :

2. 3. 1. 1. الإحالة الضميرية :

استعمل الحجاج ميم المخاطبة للجماعة من أجل تبيان حظ أهل العراق بالخطاب وتفادي التكرار ومن ذلك قوله (بعثتكم, إلى ثغوركم, غللتم, وخنتم, أمنتم, أرجفتم, خفتم, نافقتم, تزجركم, استنسركم, استفزّكم, استعضدكم, كنتم, تنهكم,)

واستعمل الضمير الهاء في عدة مواضع منها: (إلا تبعتموه, وآويتموه أتباعه وأنصاره) وكل هذه الضمائر محيلة لمن يسانده أهل العراق من ظالم وعاصٍ وغيره , وهنا أراد وضعهم في صورتهم الحقيقية وهي نصرتهم الباطل وخذلانهم للحق.

2. 3. 2. التكرار :

2. 3. 2. 1. تكرار الشكل :

التكرار يستعمل في الأغلب للتأكيد, المكرر وفي هذا الصدد نجد الحجاج قد استعمل التكرار في قوله ... و**النزوة** بعد **النزوات**...وهو تكرار جزئي استعمله لتأكيد المكرر (النزوة) .

وفي قوله... **استغواكم غاوٍ**... وهو تكرار جزئي, من خلاله يرمي المخاطِب إلى التأثير في نفوس سامعيه عن طريق إعطاء صفة الفعل للمكرر.

كما استعمل التكرار في هيئة عنصرين اثنين من مادة واحدة ومن ذلك قوله.... هل **شغب شاغب** أو **نعب ناعب, أو زفر زافر**... ولهذا النوع من التكرار دوره الخاص في جذب انتباه المتلقي للخطاب وبالتالي التأثير فيه.

2. 3. 2. 2. تكرار المضمون :

أستعمل الحجاج تكرار المضمون بكثرة ويظهر جلي هذا في المقطع من خلال قوله:

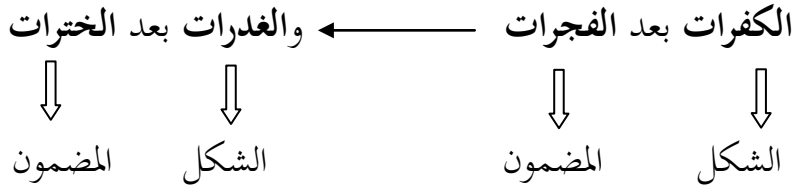

وفي قوله أيضا: ... إلا كنتم **أتباعه** و**أنصاره**.وهو تكرار في المضمون.

2 . الوسائل النفسية والاجتماعية في خطبة دير الجماجم:

أسلوب الحجاج صورة لشخصيته القوية الثائرة, وكذا لقدراته الكبيرة في منطق الخطابة والإقناع, فلقد زخرت خطبته هذه بالألفاظ الجزلة الفخمة التي تظهر في تراكيب رصينة محكمة، تبين بلوغه الذروة من الفصاحة وحسن البيان وكل ذلك انجلى في خطبته وعلى هذا النحو من الرصانة والفخامة وحسن السبك تسير جمله قصيرة متتابعة تناسب الجو الخطابي العاطفي المؤثر ذات وقع موسيقى فخم عنيف.

وألفاظ الحجاج وتراكيبه عالية سامية تليق بأديب خطيب فصيح مثله وهذا لتأثره بالتراث العربي الأصيل من قرآن كريم وشعر قديم.

وبهذا يمكن القول بأن هذه الخطاب تلا ءم مع المقام، خاصة ما تعلق بالزمان والمكان, فهو اختار مقدمات معتمدة في الحجاج، على أساس قضايا احتمالية، قابلة للحوار والنقاش، مكنته من الوصول لأذهان سامعيه والتأثير فيهم.

خاتمة

إن عرض فكرة وسائل الحجاج الإقناعية, كتقنية متداولة في الدراسات القديمة والحديثة, ومحاولة إسقاطها في نموذج عربي يتمثل في بعض خطب الحجاج ابن يوسف الثقفي, قد أفضى إلى جملة من النتائج توصلنا إليها عبر هذه الدراسة وهي :

أولا: تعود دراسة النص الحجاجي إلى مؤلفات أرسطو و لاسيما في الخطابة ومن بعده من تلك الحقب الزمنية, ثم ما توارثه العرب من أصول في الخطابة والمنطق, و مميزات الخطيب انتهاءً إلى الإرث الفكري الضخم الذي أحاط بكل ما يمكن أن يطرأ على النص الحجاجي من خلال تطبيقات كبار المفكرين و الفلاسفة و الفقهاء على مختلف النصوص .

ثانيا: أن تقنيات الإقناع, المتمثلة في الوسائل النفسية والإجتماعية, واللغوية, والبلاغية ,والمنطقية, تمثل الدور الأساسي والمهم في النص الحجاجي, ومن خلال دراستنا للنماذج السابقة استنتجنا القيمة التي أدتها هذه الوسائل في عرض الأفكار والنتائج المعبر عنها, حيث وجدنا أن لكل سامع مرتبة من مراتب الحجاج تمارس عليه من قبل المتكلم وذلك بالنظر إلى ثقافة السامع ومحيطه والمجتمع الذي يعيش فيه ويتفاعل معه.

رابعا: اتسمت الخطابة عند الحجاج ابن يوسف الثقفي بعذوبة اللفظ ومتانة الأسلوب, وقوة التأثير والاقتباس من القرآن الكريم, والسير على منهجه في الإقناع بالحجة والبرهان والتأثير في الوجدان, حيث صورت هذه النماذج شخصية الحجاج أوضح تصوير، إذ بدا فيها القائد الحازم العنيف الباطش المحب للسيطرة والنظام والطاعة، والخطيب المصقع القادر على التأثير في نفوس سامعيه.

خامسا: إن أهم ما ميز خطابات الحجاج من الناحية الإقناعية هو إطنابه في توظيفه ضمير للتكلم, كأحد أهم الوسائل التي يبرز من خلالها سيطرته على المتلقي والتأثير فيه .

وفي الأخير نسأل الله أن يجعلنا في عداد النافعين المستنفعين الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه وأن يزيدنا علماً نافعا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولا: قائمة المصادر:

1. ابن منظور, لسان العرب , ت عبد الله علي الكبير وآخرون , المعارف القاهرة, ط1, دس

2. أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا, معجم مقاييس اللغة, ت عبد السلام محمد هارون,ج 2 , دار الفكر القاهرة, دط 1989

3. الخليل ابن أحمد الفراهيدي, كتاب العين مرتبا على حروف المعجم, ج3, ت عبد الحميد هنداوي, دار الكتب العلمية بيروت, ط 1. 2003

4. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج5، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت, دط 1969،

ثانيا: قائمة المراجع:

5. الأزهر الزنّاد, نسيج النص بحث في ما يَكونُ بهِ الملفوظ نصًا,دن المركز الثقافي العربي . بيروت, ط1 1993.

6. ابن كثير القرشي الدمشقي, البداية والنهاية, ج 12, ت عبد الله بن عبد المحسن التركي, دار هجر الجيزة مصر, ط 1 1998.

7. ابن العماد, شذرات الذهب في أخبار من ذهب , ج1 , دار ابن كثير دمشق - بيروت, ط1- 1986. أبو بكر العزاوي, اللغة و الحجاج، العمدة في الطبع سور الأزبكية، ط 1، 2006.

8. أبو الحسين إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، ت جنفي محمد شرف، مطبعة الرسالة مصر،دط دس

9. أبي عبد الرحمان جمال بن محمد بن محمود , سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي ماله وما عليه , دار الكتب العالمية بيروت , ط 1- 2004

10. الجاحظ, البيان والتبيين, ج 1, ت عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخانجي القاهرة, ط 7. 1998.

11. جميل عبد المجيد, البلاغة والاتصال, دار غريب القاهرة, دط 2000

12. أحمد زكي صفوت, جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزاهرة, ج 1, مطبعة مصطفى الباني الحلبي مصر, ط 1 1933

13. أحمد عفيفي, الإحالة في نحو النص, العلوم جامعة القاهرة, دط, دس

14. أحمد عفيفي, نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي, مكتبة زهراء الشرق . القاهرة, ط1 2001.

15. حفني ناصف محمد دياب وآخرون, دروس البلاغة, مكتبة المدينة كراتشي باكستان, ط 1 2007

16. أحمد مطلوب, معجم المصطلحات البلاغية وتطورها, ج2, دار الجمع العلمي العراقي, دط 1982

17. حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مكتبة الإسكندرية,دط دس,

18. حمو النقاري، التحاجج طبيعته، مجالاته ووظائفه و ضوابطه، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية . الرباط، ط 1 . 2006

19. سلامة موسى, أشهر الخطب ومشاهير الخطباء, دار كلمات عربية للنشر والتوزيع مصر, دط, 2011.

20. صابر الحباشة, التداولية والحجاج مداخل ونصوص,صفحات للدراسات والنشر سوريا, ط 1 2008.

21. ضياء الدين بن الأثير, المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر, ت أحمد الحوفي وبدوي طبانة, ج3, دار نهضة مصر القاعرة, دط- دس

22. طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الدار البيضاء- المغرب، ط1 1992.

23. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الدار البيضاء المغرب، ط2-.2000

24. طه عبد الله محمد السبعاوي, أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي, دار الكتب العلمية بيروت, دط دس.

25. عبد الجليل عبده شلبي, الخطابة وإعداد الخطيب, دار الشروق القاهرة ط 3 . 1987,

26. عبد العاطي غريب علّام, دراسات في البلاغة العربية, جامعة قان يوسف بنغازي,ط1- 1997.

27. عبد القاهر الجرجاني, دلائل الإعجاز في علم المعاني, ت ياسين الأيوبي, المكتبة العصرية بيروت,دط 2007

28. عبد الواحد ذنون طه, العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي, الدار العربية للموسوعات بيروت , ط 2- 2005

29. عبد الهادي بن ظافر الشهري, استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية, دار الكتاب الجديد بيروت, ط1- .2004

30. عبده عبد العزيز قلقيلة , البلاغة الاصطلاحية, دار الفكر العربي القاهرة، ط3 .1992

31. علي محفوظ , فن الخطابة وإعداد الخطيب, دار النصر . شبرا مصر, ط 1984.

32. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، الدار التونسية للنشر والتوزيع تونس، دط دس.

33. محمد علي القارصمي ، البلاغة و الحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار ، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.

34. محمد عطا الله, الإقناع في الخطاب الحجاجي, مقاربة لوسائل الإقناع في عيون البصائر, الذهب الأسود حاسي مسعود ورقلة, ط1, .2013

35. محمد العمري, في بلاغة الخطاب الإقناعي, مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية, دار إفريقيا الشرق المغرب , ط2- .2002

36. محمد عبد المطلب, البلاغة والأسلوبية, مكتبة لبنان ناشرون بيروت, ط1 1994.

37. محمد مصطفى هدّارة, في البلاغة العربية – علم البيان,دار العلوم العربية بيروت , ط1 1989.

38. محمود زيادة, الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه, دار السلام الأزهر- مصر,ط1 1995 .

39. هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية, دط,1998.

ثالثا: المجلات والرسائل الجامعية

40. خديجة محفوظي, بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي,مذكرة لنيل شهادة الماجستير, جامعة منتوري قسنطينة,مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير, 2006-2007 .

41. حمدي منصور جودي, خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي, جامعة محمد خيضر بسكرة, مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير, تخصص : الأدب العربي, 2007-2008

42. سليم حمدان, أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي دراسة في ضوء اللسانيات التداولية,جامعة الحاج لخضر باتنة,مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير,2008-2009

43. عباس حشاني, مصطلح الحجاج بواعثه و تقنياته, مجلة المخبر ،أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة بسكرة – الجزائر،العدد التاسع 2013

44. يمينة تابتي, الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي, مجلة الخطاب,ت صالح بلعيد, مصطفى درواش وآخرون, الأمل تيزي وزو,العدد الثاني 2007,

فهرست

الموضوعات

مقدمة.....أ ب ج

مدخل

الخطابة عند الحجاج الثقفي

I. الحجاج ابن يوسف الثقفي

. اسمه ونسبه.....3

. مولده ونشأته.....4

. بداية ظهوره.....5

. صفاته وتقويم شخصيته.....6

. قصة وفاة الحجاج 8

II .الحجاج والخطابة

. تعريف الخطابة.....10

. التعريف اللغوي 10

. التعريف الاصطلاحي 11

. موضوعاتها 12

. الحجاج الخطيب الواعظ.....13

. الحجاج بن يوسف الثقفي والإقناع.....14

الفصل الأول

تقنيات الإقناع الحجاجية

I. ماهية الحجاج

1. تعريف الحجاج.....18

. لغة.....18

. اصطلاحا 20

2. أصناف الحجاج.....22

. الحجاج التوجيهي 22

. الحجاج التقويمي 23

II. تاريخ الحجاج

1. الحجاج عند العرب 24

1-1 قديما:.....24

. الحجاج في القرآن الكريم والسنة.....24

. الحجاج في البلاغة العربية القديمة.....26

. عند الجاحظ (ت 868م).....26

. عند ابن خلدون:(ت 1406).....27

. عند أبي الحسن بن وهب (ت 337 هـ).....27

1-2 حديثا.....29

. الحجاج عند محمد العمري.....29

. الحجاج عند طه عبد الرحمان.....30

. الحجاج عند أبو بكر العزاوي.....30

2. الحجاج عند الغرب.....32

2. 1. قديما.....32

. عند أفلاطون 32

. الحجاج عند السفسطائيين 33

2. 2. حديثا 35

. الحجاج عند بيرلمان 35

. الحجاج عند ميشال ميار 36

III. وسائل الإقناع

1. تعريف الإقناع 37

. الإقناع في اللغة 37

. الإقناع في الاصطلاح.....38

2. وسائل الإقناع.....40

. الوسائل النفسية والاجتماعية.....40

. الوسائل البلاغية 42

. الاستعارة ودورها الإقناعي.....42

. التمثيل 43

. الوسائل المنطقية.....44

. القياس المنطقي.....44

. القياس المضمر.....45

. القياس المتدّرج 48

. الوسائل اللغوية.....51

. الإحالة.....51

.التكرار.....53

. الحجاج بالتبادل.....54

الفصل الثاني

تقنيات المحاججة في خطب الحجاج

I. خطبتان للحجاج

1. خطبة الحجاج وقد سمع تكبيرا في السوق 57

. نص الخطبة.....57

. الوسائل اللغوية 58

. الإحالة 58

. التكرار 60

. الحجاج بالتبادل.....61

. الوسائل النفسية والاجتماعية.....62

2. خطبته بمكة بعد مقتل ابن الزبير..... 63

. نص الخطبة 63

. الوسائل البلاغية 64

. الاستعارة 64

ـالتمثيل 65

. الوسائل اللغوية 66

. الإحالة 66

. التكرار 67

- الوسائل النفسية والاجتماعية.....68

II. خطبته حين ولي العراق

1. المقطع الأول 69

. نص الخطبة.....69

. الوسائل البلاغية 70

. الكناية 70

. الاستعارة 71

. التمثيل.....72

. الوسائل اللغوية 73

. الإحالة 74

. التكرار.....75

2. المقطع الثاني.....76

. نص الخطبة 76

. الوسائل البلاغية 77

. الكناية 77

. دراسة الاستعارة.....77

- الوسائل اللغوية 79

. الإحالة 79

. دراسة التكرار 81

. الوسائل المنطقية 83

. القياس المضمر 83

3. الوسائل النفسية والاجتماعية في الخطبة.....85

III. تحليل خطبة الحجاج بعد دير الجماجم :

1. المقطع الأول 87

. نص الخطبة 87

. الوسائل البلاغية 88

. الاستعارة 88

. الوسائل اللغوية.....90

. الإحالة 90

. التكرار.....91

2. المقطع الثاني 94

. نص الخطبة **94**

. الوسائل البلاغية 95

. الاستعارة 95

. الوسائل اللغوية 96

. الإحالة 96

. التكرار.....96

3. الوسائل النفسية والاجتماعية في خطبة دير الجماجم 98

خاتمة.....100

قائمة المصادر والمراجع.....103

فهرست الموضوعات.....110